الفصل الأول

الأصول التاريخية
لهجرة الصحافة العربية

أولاً: الشوام .. وظاهرة الهجرة الصحفية

كان الصحفيون الشوام أول من عرف ظاهرة الهجرة الصحفية من بين الصحفيين العرب، وقد هاجر قسم منهم إلى خارج الوطن العربي فتوجهوا أولاً إلى تركيا ثم إنجلترا، وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وقبرص وروسيا وغيرها من البلاد الأوروبية. كذلك اتخذت بعض الهجرات طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أمريكا اللاتينية واتجه قسم آخر من الصحفيين الشوام إلى داخل الوطن العربي وقد ذهب العدد الأكبر منهم إلى مصر.

وعند التساؤل عن السبب الذي دفع الصحفيين الشوام إلى الهجرة من بلادهم، نواجه بعدد من التفسيرات التي يذهب أغلبها إلى القول بأن ذلك يعود لطبيعة الشخصية الوطنية للشاميين [1] وأن الهجرة تشكل ملمحاً أصيلاً في تكوين الشخصية الوطنية الشامية، وأنهم توارثوها عن أجدادهم الفينيقيين.

إن هذا التفسير القائم على تحليل الشخصية الوطنية الشامية، قد يصلح لتبرير الهجرة الإقتصادية، بحثاً عن العمل والفرص الأوسع للرزق، ولكنه لا يصلح لتفسير هجرة الصحف والصحفيين الشوام.

فمهنة الصحافة لم تكن طوال تلك الفترة (منتصف القرن التاسع عشر) مصدراً للثراء أو الربح السريع، أضف إلى ذلك أن نسبة لا يستهان بها من الصحفيين الشوام الذين هاجروا من بلاد الشام، كانوا من حملة الأفكار الليبرالية، وذلك في وقت، اعتبرت فيه الليبرالية مبادئ ثورية تعرض من يعتنقها لصنوف عديدة من التنكيل والإضطهاد ..

فالسبب الحقيقي لهجرة الصحفيين الشاميين، هو ما كانوا يعانونه من قسوة القيود التي يضعها الحكم العثماني التركي على حقهم في التعبير، خاصة وأن الدولة العثمانية كانت "تحكم بلاد الشام مباشرة بدون وسيط من أهل البلاد" [2].

ولقد تميزت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) بطابع استبدادي شمل مختلف الولايات العثمانية بصفة عامة وبلاد الشام بصفة خاصة،

فقيدت حرية الصحف الوطنية وطوردت بالتعطيل والمصادرة والإلغاء، ونكل بالصحفيين والكتّاب الأحرار، فقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يخشى من "دولة الجرائد وصولة كتابها فأصدر أمراً بتقييد حريتها وضيق عليها المراقبة حتى صارت جسداً بلا روح"[٣].

كذلك فقد اختار السلطان عبد الحميد الثاني حكاماً لبلاد الشام من بين قواده العسكريين "فكانوا نماذج شيطانية في الاستبداد والقهر، وكان إعدام الأشخاص من غير محاكمة ولا سؤال من مألوف الأمور" [٤].

ومما يؤكد أن هجرة الصحفيون الشوام تعود إلى إفتقادهم الحرية في بلادهم أن موجة الهجرة الصحفية تناقصت عقب صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨، بل لقد عاد إلى بلاد الشام عدد من الصحفيين الذين سبق أن هاجروا منها.

كذلك كان اضطهاد الحكم العثماني للصحف والصحفيين في بلاد الشام، هو الذي اضطر كاتباً سورياً مثل عبد الرحمن الكواكبي أن ينشر مؤلفه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" مقالات متتابعة بجريدة "المؤيد" المصرية [٥] وخشي أن يضع إسمه عليها حتى لا يناله أو ينال أسرته في الشام أذى من جراء غضب الحكم العثماني، واكتفى بتوقيع المقالات بإسم رمزي هو "الرحالة ك.ك"، ومما يؤكد أن هجرة الصحفيين الشوام كانت بسبب افتقادهم للحرية الصحفية والفكرية، ما ذكره أيضاً محمد رشيد رضا عن أسباب هجرته من الشام إلى مصر، إذ كتب يقول: "دعاني عبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون، إذ كاشفته في بيروت بغرضي على السفر إلى مصر، وإنشاء صحيفة إصلاحية فيها، إلى رياسة تحرير جريدته، فقلت له ليس في البلاد حرية تمكنني من ذلك .. قال أترك الطعن في السلطان واكتب في الأخلاق، والآداب ما تشاء فلا تجد مانعاً ولا معارضاً: قلت أرأيت إذا بحثت في الكتب الذي هو شر الشرور على الإطلاق وبينت أن أكبر أسباب تشوهه وانتشاره هو الإستبداد المانع من قول الصدق والمعاقب على التزام الحق، أيمكنني أن أنشر هذا في الجريدة وأكون آمناً من عقاب الحكومة، قال كلا إن أمثال هذه المباحث لا يمكن نشرها في غير مصر فعجل بالسفر ولا تخبر بعزمك أحداً لئلا يصل الخبر إلى الوالي" [٦].

وقد كان للإضطرابات الطائفية التي وقعت في بلاد الشام عام ١٨٦٠، وما أعقبها من تشديد الرقابة على الصحف والصحفيين أثر مباشر في هذه الهجرة ومما يؤكد هذه الحقيقة أن غالبية الصحفيين الشوام الذين هاجروا خلال هذه الفترة كانوا من المسيحيين وأن استعراض بعض الأسماء البارزة منهم لكفيل بإثبات هذه الحقيقة فهناك سليم وبشارة تقلا، صاحبا الأهرام ، وأديب اسحق وسليم النقاش صاحبا مصر والتجارة، وأمين شميل صاحب الحقوق، ويعقوب صروف وفارس نمر صاحبا المقطم وجورجي زيدان صاحب الهلال ..

إن ذلك يفسر لنا أيضاً الدور الذي لعبه المسيحيين الشوام في نشر فكرة العروبة وأكسابها طابعاً علمانياً مناوئاً لفكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تستبعد العناصر غير الإسلامية [٣]، فقد كان من نتيجة إهمال العثمانيين لتعليم اللغة العربية وآدابها، أن وجدت لها - ملجأ وملاذاً في الإرساليات المسيحية في بلاد الشام، وهكذا أتيح للمسيحيين فرصة الإطلاع والتثقيف في تاريخ العرب وآدابهم، ولغتهم، وإليهم ترجع تلك الفكرة التي ذاعت عن أن للعرب حضارة قبل الإسلام ثم ازدهرت على يد الإسلام.

ثانياً: الهجرة الخارجية للصحافة الشامية

عرفت الصحافة العربية ظاهرة الهجرة في فترة مبكرة من نشأتها، إذ يبدأ تاريخ الصحافة العربية المهاجرة في عام ١٨٥٥م، حين هاجر رزق الله حسون الحلبي إلى مدينة الأستانة، عاصمة الخلافة العثمانية، وأصدر بها جريدة "مرآة الأحوال"، أي أن أول صحيفة عربية مهاجرة ظهرت بعد سبعة وعشرين عاماً فقط من صدور أول صحيفة عربية وهي جريدة "الوقائع المصرية" التي صدرت بالقاهرة في عام ١٨٢٨م [٨].

ويلاحظ أن الهجرة الصحفية الشامية اتجهت أولاً إلى تركيا وذلك في نهاية حكم السلطان عبد العزيز واستمرت هذه الهجرة طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) رغم ما عرف عن الحكم العثماني من كره للحريات الصحفية، ومطاردة للكتاب الأحرار، فالسلطان عبد الحميد "لم يكن يهمه من كل أمور السلطة إلا صيانة حياته، فخشي سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كتابها فأصدر أمراً بتقييد حريتها وطبق عليها المراقبة حتى صارت جسماً بلا روح، فما كانت تنشر سوى ما يطيب للسلطان من ألفاظ التفخيم والتعظيم والتمجيد في مدح عدالته الموهومة" [٩].

ولا شك أن الصحفيين الشوام الذين نزحوا إلى الآستانة لم يأملوا بأي حال من الأحوال في التمتع بالحرية التي افتقدوها في أرض الوطن، فقد كانت بلاد الشام في ذلك الوقت تضمها والبلاد التركية دولة واحدة هي دولة الخلافة العثمانية، وكانا يخضعان لقانون واحد للمطبوعات، وهذا القانون لم يكن يفرق في تقييده للحريات الصحفية بين الصحف التي تصدر في بيروت، ودمشق وبين الصحف التي تصدر في الآستانة، فقد كان الجميع في كبت الحريات سواء.

ومن هذا المنظور نرى أن هجرة الصحفيين الشوام إلى الآستانة قد حدثت بفعل عدة اعتبارات سياسية نجملها في الاعتبارات الخمسة التالية:

أولاً: الإعتقاد الذي سيطر على بعض الصحفيين الشوام بأن "مصلحة بلادهم

تتحقق من خلال التعاون مع الدولة العثمانية الحاكمة ومسايرتها للحصول على بعض المكاسب لبلادهم أو لطوائفهم"[١٠]، وقد اختاروا أن يصدروا صحفهم العربية في عاصمة دولة الخلافة لكي يتمكنوا من التقرب إلى المسؤولين بها، وقد تمكن عدد من هؤلاء الصحفيين من إصدار بعض الصحف حتى حيل بينهم وبين تحقيق الهدف الذي أقبلوا من أجله.

وقد كان رزق الله حسون ممن يعتقدون بأهمية التعاون مع دولة الخلافة، وإليه يرجع الفضل في إصدار أول جريدة عربية مهاجرة هي (مرآة الأحوال) في عام ١٨٥٥م وكانت الجريدة تصدر أسبوعيا وتهتم بالأمور السياسية وتتابع أخبار الحرب الروسية العثمانية، وقد أعطت جانباً كبيراً من اهتمامها لأخبار الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية وخاصة بلاد الشام.

ولكن سرعان ماأدرك رزق الله حسون عقم طريق التعاون مع دولة الخلافة، فقد أغلقت "مرآة الأحوال" بعد عام واحد من صدورها، لأن الجريدة تضمنت "فصولاً لا تخلو من تقبيح الأتراك والتنديد بأعمال الحكومة العثمانية، لأن حسون كان حر الأفكار طويل البال في الإنشاء مر الهجو في الشعر كالفرزدق، فصمم الباب العالي على إلقاء القبض عليه ففر هارباً إلى روسيا، فحكم عليه الأتراك حكماً غيابياً بالإعدام، وقد نظم حينئذٍ بعض أبيات من الفخر خاطب بها دولة الأتراك:

أنا ابن حسون رزق الله أشهر من نار على علم والكل بي علموا

كرا وبلغهم عن مقـــلقـــلة يا أمة ضحكت من جهلها الأمم (١١)

ومن بين الصحفيين الذين اعتقدوا أيضاً بأهمية التعاون مع الدولة العثمانية، الصحفي السوري إسكندر شهلوب الذي انتقل إلى الآستانة وأصدر بها ثاني جريدة عربية بتركيا وهي جريدة (السلطنة)، وكانت كسابقتها (مرآة الأحوال) تهتم بأخبار الولايات العربية ولم تكمل أيضاً عامها الأول.

ثانياً: وجد عدد من الصحفيين الشوام الذين هاجروا إلى الآستانة، اختاروا أن يضعوا مواهبهم في خدمة مصالح الدولة العثمانية سواء عن قناعة بدولة الخلافة أو

رغبة في تحقيق مطامح شخصية، ومن أبرز هؤلاء، أحمد فارس الشدياق [١٢] الذي أصدر بالآستانة جريدة (الجوائب) وسخرها للدفاع عن دولة الخلافة وقد حقق من وراء ذلك نفوذاً كبيراً [١٣] وإذا كانت "مرآة الأحوال" تحتل أهميتها في تاريخ الصحافة العربية باعتبارها أول صحيفة عربية مهاجرة، فإن جريدة (الجوائب) تحتل مكاناً هاماً في تاريخ الصحافة العربية بسبب الدور المتميز الذي لعبته في الحياة السياسية العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد كانت لسان حال الباب العالي والصوت القوي المدافع عن السياسة العثمانية.

ومما يدل على مدى التأثير الذي كانت تمارسه (الجوائب)، أن نشرها لبيان الباب العالي بعصيان أحمد عرابي في مصر كان من العوامل الرئيسية في انفضاض الكثيرين عنه وساهم في هزيمته بعد ذلك.

ثالثاً: هناك بعض الصحفيين الشوام الذين كانوا يملكون أفكاراً لإصلاح أحوال الدولة العثمانية، وتصوروا أنه يمكنهم إصلاح الدولة من الداخل، ومن هؤلاء جبرائيل دلال الحلبي [١٤] الذي أصدر في الآستانة جريدة (السلام) في ٢٣ يوليو ١٨٧٩م وكانت أسبوعية سياسية، وقد صدرت بوحي من الصدر الأعظم (خير الدين باشا التونسي)، للتعبير عن آراءه السياسية الليبرالية وأفكاره لإصلاح الخلافة العثمانية وقد أغلقت الجريدة بعد أن ترك خير الدين باشا منصبه في عاصمة الدولة العثمانية.

رابعاً: تدفق عدد كبير من الصحفيين الشوام إلى العاصمة العثمانية بتشجيع من السلطان عبد الحميد الثاني، حيث دفعهم إلى إصدار الصحف العربية لخدمة فكرة (الجامعة الإسلامية) وهي فكرة استخدمها السلطان عبد الحميد الثاني كأداة تحقق له التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية، وكوسيلة لتأكيد سيطرته على الولايات العربية [١٥]، ولكي تكون بديلاً يواجه به التيار الديموقراطي والدستوري [١٦]، ووسيلة للضغط على الدول الأوروبية عن طريق التهديد بإثارة الشعوب الإسلامية والعربية الواقعة تحت احتلال هذه الدول.

ومن أبرز الصحف العربية التي أصدرها صحفيون شوام في الآستانة جريدة (الإعتدال) الأسبوعية التي أصدرها أحمد قدري في ٢٩ أغسطس ١٨٨٣م، ومجلة

(الإنسان) نصف الشهرية التي أصدرها حسن باشا الطوراني في ٢٨ مايو ١٨٨٤ والتي تحولت إلى جريدة أسبوعية في عام ١٨٨٦م.

وأصدر نجيب بن نادر صوايا اللبناني مجلة (كوكب العلم) في يناير ١٨٨٥م وأصدر أبوالنصر يحيى السوري (الحقائق) الأسبوعية في ديسمبر ١٨٨٥م، وأصدر الدكتور الياس نصر اللبناني في يوليو ١٨٩٠ مجلة (الحقوق) وشارك في تحريرها الياس رسام الحلبي، وفي أغسطس ١٨٩٣ أصدر محمد المخزومي جريدة (البيان) وأنشأ محمد طاهر جريدة (المطومات) في مارس ١٨٩٥، وأصدر لويس صابونجي جريدة (سياحة) في عام ١٨٩٩، ثم أصدر محمود زكي جريدة (الكوكب العثماني) في أبريل ١٩٠٠م.

خامساً: كان لصدور الدستور العثماني في عام ١٩٠٨م أثر كبير في تشجيع عدد من الصحفيين العرب على إصدار العديد من الصحف الحرة في العاصمة التركية، وقد انتقدوا السياسة العثمانية في الولايات العربية، وتجرأ بعضهم ونادى بفكرة القومية العربية في مواجهة القومية التركية التي كان يدعو لها أنصار "تركيا الفتاة" وقد وصل الأمر ببعض الصحفيين الشوام إلى المطالبة باستقلال الولايات العربية عن الخلافة التركية، فأصدر محمد المخزومي [١٧] جريدة (المساواة) في ٩ أغسطس ١٩٠٨م ولكن لم يظهر منها سوى ثلاثة أعداد فقط ثم عطلت لهجومه على السياسة التركية في بلاد الشام.

وفي ٢١ يناير ١٩٠٩م أصدر شفيق المؤيد[١٨]، جريدة (الإخاء العثماني) وكانت تدعو إلى المساواة بين العنصر العربي والعنصر التركي في دولة الخلافة ، فتوقفت الجريدة بعد عدة أعداد، وفي ١٤ إبريل ١٩١٠م أصدر عبد الحميد الزهاوي جريدة (الحضارة) وعندما أوقفت أصدر جريدة (المدينة) في ٢١ ديسمبر ١٩١١م، وعندما عطلت هي الأخرى أصدر جريدة (الإدارة) في ١١يناير ١٩١٢م، ولكنها لم تعمر طويلاً بسبب مقالاته[١٩]، التي كانت تنادي باستقلال العرب عن الخلافة التركية.

سادساً: وبالإضافة إلى الاعتبارات السياسة الخمسة السابقة التي تفسر اسباب هجرة الصحافة الشامية إلى العاصمة التركية، هناك اعتبار سادس وإن يكن غير سياسي إلا أن له أهمية لا تقل عن الاعتبارات السابقة، فقد كانت الآستانة

عاصمة الخلافة، وهي ككل عاصمة تشكل عامل جذب للصحفيين، باعتبارها مركزا لصنع القرارات التي ترسم صورة الأحداث في العالم العربي في ذلك الوقت، كذلك فقد تمتعت الآستانة بشبكة جيدة من الخدمات البريدية مع غالبية الولايات العربية وغير العربية التابعة لدولة الخلافة، وهو الأمر الذي كان يتيح للصحف العربية الصادرة من الآستانة، شبكة توزيع واسعة في العالم العربي والإسلامي، وهو ما لم يكن متوفراً في ذلك الوقت في أي عاصمة عربية أخرى باستثناء القاهرة.

ثالثاً: الصحافة الشامية المهاجرة في فرنسا

لم يكن غريباً أن تكون فرنسا هي أول بلد أوروبي تصدر به صحيفة عربية خارج نطاق الدولة العثمانية ففي ٢٤ يونيو ١٨٦٨م صدر بالعاصمة الفرنسية باريس العدد الأول من جريدة (برچيس باريس)، وهي ثالث صحيفة عربية تصدر خارج الوطن العربي بعد صحيفتي (مرآة الأحوال) و(السلطنة) اللتين صدرتا في تركيا.

وهناك أكثر من تفسير لهجرة الصحافة الشامية إلى فرنسا، ولعل في مقدمتها عاملين هامين:

الأول رغبة فرنسا في مد نفوذها إلى العالم العربي، وخاصة في بلاد الشام، وبلاد الشمال الأفريقي، وقد تكشفت هذه الرغبة منذ حملة بونابرت على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) ومحاولته الإنطلاق من مصر للسيطرة على بلاد الشام ثم تحطم هذه المحاولة على أبواب مدينة عكا الفلسطينية، كذلك فقد حاولت فرنسا دائماً أن تدعي لنفسها نوعاً من الوصاية على المسيحيين في بلاد الشام وخاصة موارنة لبنان منذ الأحداث الطائفية في عام ١٨٦٠م "وحضور العساكر الفرنسوية إلى بيروت لمساعدة الدولة العثمانية على تأييد الراحة والإقتصاص من الثائرين" [٢٠] أما مطامع فرنسا في الشمال الأفريقي العربي فقد تكشفت منذ احتلالها للجزائر عام ١٨٣٠.

ولذلك فقد رحبت فرنسا بهجرة الصحفيين العرب عامة والشوام خاصة، وحاولت أن تجند بعضهم لنشر وتدعيم النفوذ الفرنسي في العالم العربي.

أما العامل الثاني: فهو توفر قدر كبير من الحرية الصحفية في فرنسا وهو الأمر الذي أتاح لبعض الأحرار من الصحفيين الشوام إصدار الصحف التي تعبر عن أفكارهم السياسية بدون قيود أو رقابة.

وباستعراض الصحف الشامية التي هاجرت إلى فرنسا أو صدرت بها سنجد أن أغلبها يندرج تحت العامل الأول، أي أنها جندت لخدمة الأهداف السياسية

الفرنسية في العالم العربي.

فأول هذه الصحف (برچيس باريس) كان يحررها رشيد الدحداح [٢١] وكانت تهتم بالأمور الأدبية وعندما كانت تتطرق إلى الأمور السياسية، فإنها تعبر عن المواقف الفرنسية، ومما يكشف عن دورها في خدمة السياسة الفرنسية أنها كانت توزع في كل من فرنسا وبلاد الشام، وكانت تصدر كل أسبوعين واستمرت في الصدور لمدة خمس سنوات.

وفي نفس العام الذي ظهرت فيه (برچيس باريس) صدرت في مارسيليا جريدة (عطارد) في ٩ أكتوبر ١٨٥٨ وكان يحررها (منصور كرلتي) وهو مستشرق فرنسي ويقال أنه من أصل شامي ودليل ذلك أنه بذل محاولة لاستقدام أحمد فارس الشدياق من تونس ليشارك في تحرير الجريدة ولكن المحاولة لم تتحقق، وقد توقفت الجريدة بعد شهرين من صدورها، ثم عادت إلى الصدور مرة أخرى ولكن من باريس، واستمرت حتى ١٥ سبتمبر من نفس العام حين توقفت الجريدة بسبب سفر محررها إلى تونس بدعوة من الباي محمد الصادق باشا لإنشاء جريدة الرائد التونسي، وتكشف صفحات الجريدة الأربع، أنها صدرت لمقاومة النفوذ البريطاني في العالم العربي والدعوة للنفوذ الفرنسي [٢٢] وخاصة في الشمال الأفريقي العربي. وفي عام ١٨٦٧م أصدر رشيد الدحداح صحيفته الثانية بباريس باسم (المشتري) وكان الطابع الغالب على الصحيفة سياسياً ومؤيداً للسياسة الفرنسية [٢٣]، وفي عام ١٨٧٧م أصدر جبرائيل دلال الحلبي صحيفة (الصدى) بباريس، وكانت أسبوعية سياسية، وهناك من المؤشرات ما يؤكد أن الصحيفة قد صدرت بإيعاز من الحكومة الفرنسية لكي تدافع عن النفوذ الفرنسي في العالم العربي، ومن هذه المؤشرات أن محرر الجريدة كان يعمل أثناء إصداره للصحيفة مترجماً بوزارة المعارف الفرنسية ويتقاضى راتباً من الحكومة الفرنسية، كذلك فإن غالبية المواد التي تنشرها الجريدة تدافع عن السياسة الفرنسية وخاصة سياساتها العربية والأفريقية [٢٤].

وفي عام ١٨٨٣م قام عبد الله بن فتح الله مراش الحلبي بإصدار جريدة (كوكب الشرق) وحاول أن يجعلها في خدمة السياسة الفرنسية في الشرق، ولكنه عجز عن الحصول على دعم كاف من الحكومة الفرنسية، فأغلق الجريدة بعد عدة أعداد.

وقد شهدت السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر ظهور صحيفتين عربيتين في باريس سارتا في هذا الإتجاه وهو خدمة النفوذ الفرنسي في العالم العربي، وقد ظهرت الأولى تحت إسم (المرصد) وقد أنشأها يوسف حاج اللبناني في عام ١٨٩٣، أما الجريدة الثانية فقد صدرت في عام ١٨٩٧ بمدينة مارسيليا باسم (المرصاد) وشارك في إصدارها انطون فارس وسليم نفاع اللبنانيين [٢٥].

ويلاحظ أن أغلب هذه الصحف العربية التي أصدرها صحفيون شوام بإيعاز من الحكومات الفرنسية لم تعمر أي منها طويلاً، ولم يكن لأي منها نفوذ يذكر في العالم العربي.

أما الصحف التي لعبت دوراً هاماً في السياسة العربية، فقد أصدرها في باريس صحفيون شوام أحرار استفادوا من مناخ الحرية في فرنسا للتعبير عن أفكارهم ومن أهم هذه الصحف جريدة (مصر القاهرة) التي أصدرها أديب اسحق [٢٦] في باريس عام ١٨٧٩م، وذلك بإيعاز من قادة الحزب الوطني الأهلي، وهو أول حزب سياسي مصري شكله مجموعة من المعارضين لرئيس الوزراء محمد رياض باشا، وكان الحزب يسمي بـ (جماعة حلوان)، وهو حزب تألف من الناقمين على رياض باشا وقد نشروا في نوفمبر عام ١٨٧٩م أول بيان سياسي لهم وطبعوا منه عشرين ألف نسخة، وقد حاول رياض معرفة أعضاء هذه الجماعة الذين أصدروا هذا المنشور، فلم يفلح فشجع ذلك أعضاء الحزب على متابعة العمل لإسقاطه فأوفدوا إلى باريس أديب اسحق لإنشاء جريدة (مصر القاهرة)، وقد صدرت بباريس كجريدة معارضة للحكومة المصرية وأوقفها أديب اسحق "على الطعن في محمد رياض باشا وأسماه في هذه الصحيفة رياضستون مجاراة لأسماء قادة الإنجليز في ذلك الوقت، غلادستون وبالمرستون [٢٧]"، وذلك كناية عن عمالته للإنجليز حتى لكأنه صار واحداً منهم يعمل لصالحهم ضد وطنه، ولم يخفي أديب اسحق الهدف من إصدار جريدته في باريس، فهو يكتب في افتتاحية العدد الأول معلنا: هذه صحيفة مصر طواها الإستبداد فماتت شهيدة، ثم أحيتها الحرية فعاشت سعيدة، حاول أحدهم (يقصد رياض باشا) إطفاء نورها ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الظالمون" [٢٨] ثم يؤكد أن جريدة (مصر القاهرة) هي النسخة المهاجرة من

جريدة (مصر) فيقول: "ما تغيرت الحقيقة بتغير الرسم ولا تغيرت الصحيفة بتغير الإسم، بل هي مصر خادمة مصر" [٢٩].

وكان أديب اسحق يحاول تهريب جريدته إلى مصر، ولكن رياض باشا كان يتعقبها ليمنع دخولها وتداولها في البلاد، وقد وصلت بعض الأعداد بالفعل إلى مصر وبذل الباشوات من أعضاء الحزب الوطني جهوداً لتهريبها وتوزيعها في البلاد.

ولكن الصحيفة لم تعمر طويلاً في باريس ويبدو أن الدعم المادي الذي كان يحصل عليه أديب اسحق من قادة الحزب الوطني بمصر قد توقف لما أدركوا عدم جدواها في إسقاط رياض باشا، فتوقفت الجريدة، وترك أديب اسحق باريس إلى بيروت حيث تولى تحرير جريدة " التقدم" البيروتية [٣٠].

ومن الصحفيين الشوام الأحرار الذين هاجروا إلى باريس خليل غانم [٣١] الذي أصدر في ٢١إبريل ١٨٨١ جريدة (البصير) الأسبوعية وقد أعلن في افتتاحية عددها الأول أنها صدرت للدفاع عن الحرية وعن جميع الأحرار في دولة الخلافة العثمانية [٣٢].

وقد انصبت أغلب مقالات الجريدة على الهجوم على سياسة الحكومة التركية والدفاع عن أفكار مدحت باشا، والمطالبة بالدستور.

ويؤكد البعض أن الجريدة صدرت بتأييد من غمبتا رئيس وزراء فرنسا في ذلك الوقت، وأنه عين لخليل غانم راتباً شهرياً مقداره الفي فرنك فرنسي يصرف من خزينة الحكومة الفرنسية، ودليل ذلك أن الجريدة لم تستمر لأكثر من عامين، إذ توقفت بعد أن ترك غمبتا الوزارة ومن ثم توقف الدعم الحكومي الفرنسي للجريدة[٣٣].

ولم تخلو باريس من صحف عربية، صدرت خصيصاً للدفاع عن دولة الخلافة العثمانية في مواجهة الصحف العربية التي تهاجم دولة الخلافة، ومن أبرز هذه الصحف جريدة (كشف النقاب) التي أصدرها الأمير أمين أرسلان في ٩ أغسطس ١٨٩٤، وقد تصدت الجريدة للدفاع عن الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني، وقد جاء في افتتاحية عددها الأول: "وغايتنا العظمى من نشر كشف النقاب

أن ندافع عن حقوق المملكة العثمانية ونقف بالمرصاد لكل من يضمر لها شراً وأن نكشف النقاب عن أعمال الظالمين الذين خانوا الدولة وعبثوا بصوالح الأمة وباعوا الوطن بالمال واستبدوا برعايا جلالة السلطان الأعظم، وإن هؤلاء ليجدوا من جريدتنا الحرة سهام أقلام تفك الزرد الذي تذرعوا به يسترون أجساداً خالية تستر قلوباً من كل عدل وأمانة حالية" [٣٤].

ويلاحظ أنه مع بداية القرن العشرين تباطأت عملية هجرة الصحفيين الشوام إلي فرنسا وخاصة بعد إبرام الإتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٦، واعتراف فرنسا بالاحتلال البريطاني لمصر في مقابل إطلاق يدها في الشمال الأفريقي العربي، فلم يصدر بباريس من الصحف العربية سوى صحيفتين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤، والأولى هي جريدة (باريس) التي صدرت في عام ١٩٠٨م وشارك في تحريرها جورج مسرة ونجيب نسيم، وكانت اهتماماتها أدبية علمية أكثر مما هي اهتمامات سياسية.

أما الجريدة الثانية فهي (نهضة العرب) التي أصدرها رشيد مطران في مارس ١٩٠٩ وذلك للدفاع عن العروبة، والمطالبة بالحكم الذاتي لبلاد الشام، وذلك في مواجهة حركة التتريك التي قادتها جمعية الإتحاد والترقي في تركيا، وقد توقفت الجريدة عن الصدور في أبريل ١٩١٠ بعد أن صدر منها خمسين عدداً فقط.

أما في فترة الحرب العالمية الأولى فقد قامت الحكومة الفرنسية بإصدار جريدة (المستقبل) في أول مايو سنة ١٩١٦.

وقام بتحريرها صقر العظم ، وقد أنشئت الصحيفة للدعاية السياسية الفرنسية في المشرق العربي، خاصة وأن فرنسا كانت قد بيتت النية على التهام سوريا ولبنان، حسبما ظهر بعد ذلك عندما تم الكشف عن اتفاق سايكس بيكو بين انجلترا وفرنسا لتقسيم العالم العربي بين الدولتين بعد الحرب.

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى ووقعت سوريا ولبنان تحت براثن الاحتلال الفرنسي، لم تعد باريس ملاذاً للأحرار في بلاد الشام، وإنما صارت باريس هي عدوة الأحرار من الصحفيين الشوام.

رابعاً: الصحافة الشامية المهاجرة في انجلترا

يعود تاريخ ظهور أول صحيفة عربية مهاجرة في انجلترا إلى عام ١٨٦٨م، عندما وصل رزق الله حسون الحلبي إلى لندن قادماً من روسيا بعد فراره من الآستانة، وفي العاصمة البريطانية أصدر ابن حسون مجلة (رجوم وغساق إلى فارس الشدياق)، وكما يبدو من اسم المجلة، فقد كان الهدف من إصدارها الهجوم على الدولة العثمانية من خلال الهجوم على أحمد فارس الشدياق، صاحب جريدة (الجوائب) والتي كانت لسان حال دولة الخلافة، وفي عام ١٨٧٢م، أصدر رزق الله حسون في لندن ثاني جريدة له سماها (أل سام) وكانت أسبوعية سياسية، أما مواقفها السياسية فقد كانت شديدة العداء للدولة العثمانية، وقد وصل ابن حسون في عدائه للدولة العثمانية أن كتب في جريدته يحرض العرب والأتراك على تأييد روسيا أثناء حربها مع الدولة العثمانية، معلناً أن ذلك هو الطريق الوحيد للتخلص من الحكم العثماني للعرب والأتراك على السواء [٣٥].

وفي عام ١٨٧٦م أصدر رزق الله حسون جريدته الثالثة في لندن، حين أعاد إصدار جريدة (مرآة الأحوال)، وبذلك تكون (مرآة الأحوال) قد صدرت في كل من لندن والآستانة وهي أول صحيفة عربية تهاجر إلى لندن [٣٦].

وكانت سياسة مرآة الأحوال كبقية صحف ابن حسون السابقة عنيفة في العداء للسياسة العثمانية، وفي عام ١٨٧٩م أصدر رزق الله حسون رابع صحيفة له في لندن وآخرها وهي باسم (حل المسألتين الشرقية والمصرية) وكان يحررها بالشعر الخالص، وقد تميزت إلى جانب اهتمامها بالهجوم على الدولة العثمانية، بالبحث في المسألة المصرية والمطالبة بوقف التدخل العثماني في شؤون مصر.

وقد اكتسب رزق الله حسون من خلال صحفه الأربع التي أصدرها مكانة بارزة بين أحرار الدولة العثمانية في أوروبا ويبدو أن هذه المكانة، قد دفعت الحكومة البريطانية إلى التعاون معه وتقديم العون والدعم المالي له مما شجعه على الاستمرار في البقاء في انجلترا [٣٧] وكذلك مواصلة معارضته للدولة العثمانية حتى وفاته في عام ١٨٨٠م [٣٨].

وإلى لندن هاجر أيضاً الصحفي اللبناني لويس صابونجي، وفيها أعاد إصدار مجلته (النحلة) في ٢ إبريل ١٨٧٧م وبذلك تكون مجلة (النحلة) هي ثان صحيفة عربية تهاجر إلى لندن، وكان لويس صابونجي قد أصدر (النحلة) لأول مرة في بيروت في ١١ مايو ١٨٧٠م، ولكنها الغيت بسبب إنتقادها للحكم العثماني في الشام فاضطر إلى الهجرة إلى مصر حيث أعاد إصدار مجلته تحت إسم (النحلة الحرة) ثم انتقل بها بعد ذلك إلى لندن حيث استمرت في الصدور لمدة أربع سنوات، وكانت المجلة تميل إلى الإعتدال في مواقفها السياسية، كذلك فقد اتسعت اهتماماتها لتشمل أخبار الفنون والعلم والتاريخ والأدب بجانب الأمور السياسية [٣٩] وفي عام ١٨٨١م أصدر لويس صابونجي في لندن جريدة (الخلافة) وهي تختلف عن مجلة (النحلة) في موقفها المعارض صراحة للدولة العثمانية وخاصة فيما يتعلق بسياساتها في بلاد الشام [٤٠]، وقد اكتسبت جريدة الخلافة نفوذاً لا يستهان به في بلاد الشام التي كانت تصلها وتوزع فيها سراً، مما اضطر الدولة العثمانية أن توعز لأحد الصحفيين الهنود بلندن واسمه (عبد الرسول أحمد) بإصدار جريدة باسم (الغيرة) في ١٠ فبراير ١٨٨١م للرد على انتقادات (الخلافة) للدولة العثمانية وللدفاع عن الباب العالي وسياسته في بلاد الشام [٤١].

وفي عام ١٨٨١م أصدر لويس صابونجي صحيفته العربية الثالثة في لندن وأسماها (الإتحاد العربي) وهي جريدة أسبوعية، وقد اهتمت بالدفاع عن الثورة العرابية في مصر[٤٢] ويبدو أن الحكومة الإنجليزية لم ترق لها سياسة الجريدة فعملت على إيقافها بعد صدور ثلاثة أعداد منها فقط.

وفي ٢٦ أبريل ١٨٨٤م أعاد لويس صابونجي إصدار مجلة (النحلة) مرة أخرى في لندن، وقد اهتمت المجلة بالمسألة المصرية ولكنها لم تتعرض بالنقد للإحتلال البريطاني في مصر وإنما كانت تكتفي بوصف الأحوال المصرية وتحركات إنجلترا فيها دونما تعليق، أما إذا أراد التعليق على حدث من الأحداث المصرية فكان يكتفى بإعادة نشر تعليقات الصحف البريطانية على هذا الحدث[٤٣].

ويلاحظ أن إصدار الصحف العربية في انجلترا كاد يتوقف بعد قيامها باحتلال مصر في عام ١٨٨٢م، وذلك لسببين:

الأول: أن إحتلال إنجلترا لمصر أسخط عليها الكثيرين من أحرار العرب وخاصة في بلاد الشام، ولم يكن سماح انجلترا للصحفيين الشوام بإصدار الصحف والهجوم على الدولة العثمانية بكاف لإغرائهم بغض الطرف عن هذا الإحتلال لأهم جزء في الوطن العربي، خاصة وأن فرنسا كانت تتيح للصحفيين الشوام فرصة الهجرة إليها ولا تضع قيوداً على حريتهم في انتقاد الدولة العثمانية.

أما السبب الثاني: فهو سماح سلطات الإحتلال البريطاني في مصر وخاصة في عهد اللورد كرومر بقدر كبير من الحرية الصحفية في مصر، وهو الأمر الذي أتاح لكثير من الصحفيين الشوام الهجرة إلى القاهرة والأسكندرية وإصدار الصحف، ولم تضع هذه السلطات أي قيود تذكر على حق هؤلاء الصحفيين في انتقاد الدولة العثمانية، بل وانتقاد الإحتلال البريطاني نفسه، وبذلك تضافر عنصري الحرية الصحفية، وقرب مصر من بلاد الشام، في التقليل من هجرة الصحفيين الشوام إلى لندن.

ولذلك لم يصدر في لندن من الصحف العربية طوال هذه الفترة سوى ثلاثة جرائد وهي (ضياء الخافقين) التي أصدرها حبيب سلمون في أول فبراير ١٨٩٢، وجريدة (رجع الصدى) التي أصدرها سليم سركيس في ١٥ يناير ١٨٩٤م، أما الجريدة الثالثة فهي أهم هذه الصحف، وهي (الخلافة) التي أصدرها سليم فارس الشدياق في ٢٨ سبتمبر ١٨٩٩، والتي حاول أن يكرر بها تجربة جريدة (الجوائب) التي أصدرها أبيه أحمد فارس الشدياق في العاصمة التركية عام ١٨٦٠م، ولكن تجربة (الخلافة) [١٤] لم تستمر طويلاً، إذ لم يكن من مصلحة الحكومة البريطانية تدعيم فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو إليها الجريدة فوضعت في طريقها العديد من العقبات حتى توقفت دون أن تكمل عاماً واحداً.

والجدير بالإهتمام ملاحظة أن الهجرة الصحفية الشامية إلى خارج الوطن العربي قد تركزت في كل من الأستانة وباريس ولندن، ولكن هذا لم يمنع من اتجاه بعض الصحفيين الشوام إلى دول أوروبية أخرى، وفي هذا المجال يهمنا أن نشير إلى صحيفتين شاميتين صدرتا في إيطاليا وألمانيا رغم تباعد الشقة بينهما، فقد صدرت الأولى في جزيرة سردينيا بإيطاليا في ٢٨مارس ١٨٨٠م باسم (المستقبل)

وأصدرها يوسف باخوس اللبناني وكانت جريدة أسبوعية سياسية وإن نشرت في بعض صفحاتها ألواناً من الأدب العربي، وقد صدرت الجريدة بتوجيه من الحكومة الإيطالية بهدف الدعوة للنفوذ الإيطالي في تونس ودول المغرب العربي، وكذلك لمقاومة النفوذ الفرنسي في تونس[٤٥] وقد استمرت الجريدة في الصدور حتى أبريل سنة ١٨٨١ حيث توقفت عقب الإحتلال الفرنسي لتونس. أما الجريدة الثانية فقد أصدرها الأمير شكيب أرسلان في عام ١٩٢١م في مدينة برلين وأسماها (لواء الإسلام) وكانت تهدف إلى إحياء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية بعد انهيار دولة الخلافة العثمانية في تركيا.

خامساً: الهجرة الداخلية للصحافة الشامية

كان الصحفيون الشوام أول من اضطروا إلى الهجرة الداخلية، تماماً كما كانوا أول من اضطروا إلى الهجرة الخارجية.. وبعكس هجرتهم الخارجية التي توزعت بين تركيا وفرنسا وانجلترا وبدرجة أقل كثيراً بين إيطاليا وألمانيا، فإن هجرتهم الداخلية تكاد أن تقتصر على قطر عربي واحد هو مصر.

وقد اتخذت هجرة الصحافة الشامية إلى مصر شكل الموجات المتتابعة التي تعلو حينا وتهبط في حين آخر، ثم تعود لتعلو مرة أخرى حسب الظروف السياسية المتغيرة في كل من مصر وبلاد الشام، وقد بدأت الموجة الأولى من الهجرة الصحفية الشاملة إلى مصر في عصر إسماعيل واستمرت هذه الموجة رغم عزل الخديوي إسماعيل وتولية إبنه توفيق مكانه، ولكن هذه الهجرة توقفت لفترة قصيرة خلال أحداث الثورة العرابية (١٨٨١، ١٨٨٢م) ثم ما لبث أن تدفق الصحفيون الشوام على مصر في موجة هجرة جديدة عقب وقوع مصر تحت الإحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م، واستمرت هذه الموجة في تدفقها حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م.

وطوال هذه الفترة التي تمتد من الثلث الأخير للقرن التاسع عشر إلى الربع الأول من القرن العشرين، كان للصحفيين الشوام وللصحف التي يصدرونها في مصر نفوذ كبير في الحياة السياسية والفكرية في مصر.

ومن الطبيعي أن يطرح السؤال التالي: لماذا اتخذت هجرة الصحافة الشامية طريقها إلى مصر دون سائر أقطار الوطن العربي؟

وهناك العديد من العوامل التي تفسر هجرة المواطنين الشوام عامة إلى مصر في تلك الفترة، بعضها جغرافي، كقرب مصر من بلاد الشام، وبعضها إقتصادي كتوفر فرص الكسب والعمل، وبعضها سياسي لوجود حكم مستقل فعلياً عن الدولة العثمانية، وإن كان يعترف إسمياً بنوع من التبعية الشكلية لدولة الخلافة.

وهذه العوامل جميعها قد تصلح لتفسير هجرة الشوام بصفة عامة إلى مصر،

ولكنها لاتكفي لتفسير هجرة الصحفيين الشوام إلى مصر، فهذه الهجرة تقوم في اعتقادنا على أساس وجود مناخ من الديموقراطية في مصر، هذا المناخ الذي لم يتوفر شبيه له في أي مكان آخر في أقطار الوطن العربي في ذلك الوقت، وقد أتاح هذا المناخ للصحفيين الشوام أن يعبروا عن آرائهم بحرية، وأن يمارسوا تطلعاتهم الفكرية والسياسية بدون قيود.

ويميل عدد غير قليل ممن أرّخوا لهذه الفترة من تاريخ مصر الحديث، إلى تفسير وجود هذا المناخ من الديموقراطية، برغبة الخديوي إسماعيل في التشبه بأوروبا الليبرالية وإصراره على أن يجعل من القاهرة منافسة للآستانة عاصمة الخلافة العثمانية..

وليس بخاف ما كان يبذله الخديوي إسماعيل وقتئذ من مساع للإنفصال الكامل بمصر عن تركيا وكيف كان يحاول أن يظهر للرأي العام الأوروبي أن مصر متفوقة على تركيا حضارياً[٤٦] لذلك فقد تملكته رغبة شديدة في أن "ترى الدنيا أن مصر ملجأ للحكماء وللعلماء، في حين تضيق عنهم دار الخلافة نفسها"[٤٧].

ونرى أن هذا الرأي قد عجز عن إدراك المغزى الإجتماعي للتطور الديموقراطي في مصر.

فلقد تحقق التطور الديمقراطي في مصر نتيجة للتحولات التي حدثت في بنية المجتمع المصري والتغير الذي أصاب تركيبه الإجتماعي والإقتصادي، واتجاه حركة القوى الإجتماعية به طوال القرن التاسع عشر.

إن تحطيم المماليك - كطبقة - في عصر محمد علي، وزوال الإلتزام، وتحول الإنتاج الزراعي من إنتاج للإستثمار المحلي، إلى إنتاج السلع المصدرة كالقطن [٤٨] فتح الباب واسعاً نحو تحول مصر من الإقطاع إلى الرأسمالية وقد دعم هذا التحول بعد ذلك انتقال علاقة الفرد بالأرض من حق الإنتفاع إلى حق التصرف، ثم ظهور الملكية الفردية للأرض[٤٩]، مما زعزع مبدأ نظام ملكية الدولة للأرض[٥٠] وفتح الطريق لبدء الاستغلال الرأسمالي للأرض.

وقد ساهم التحول الرأسمالي في البلاد في تكوين طبقة بورجوازية ناشئة [٥١]، لم تلبث أن سعت إلى القيام بدور نشط في الحياة السياسية، وكان قصدها من ذلك

أن تصل إلى تحقيق قدر من المشاركة في الحكم.

وقد وجدت هذه الطبقة في الأفكار الديموقراطية التي بدأت رياحها تهب على مصر من أوروبا، الوسيلة الفعالة لتحقيق طموحها في المشاركة بالسلطة السياسية، وكان أول تعبير عملي لذلك، هو إنشاء مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦م، ولم تلبث الصحافة المصرية أن تمتعت بشيء من الحرية بعد وقت قليل من إنشاء مجلس شورى النواب، فقد كانت الصحافة أداة أخرى من الأدوات التي لجأت إليها الطبقة البورجوازية المصرية الوليدة للمشاركة في الحكم، خصوصاً وأن البورجوازية المصرية كانت تضم داخل صفوفها كبار ملاك الأراضي وكبار التجار ورجال الصناعة، كما أن مناصب الدولة كانت أيضاً ميداناً من ميادين ظهور البورجوازية المصرية [٥٢]، ذلك أن قطاعاً كبيراً من البورجوازية المصرية كان يتمثل في كبار موظفي الدولة فأصحاب الممالك والأبعاديات منحوا هذه الأرض لما قاموا به كموظفين في خدمة الدولة، وإلى هذا القطاع من البورجوازية ينتمي أكثر مثقفي هذه الفترة، وهم الذين ظهروا نتيجة لمشاريع محمد علي العلمية والعسكرية التي تخدم طموحه إلى التوسع، وقد برزوا من خلال عمليات التعليم المدني والبعثات إلى أوروبا، ومن خلال حركة الترجمة وجهود مدرسة الألسن [٥٣] وقد عبر هذا القطاع من المثقفين عن مصالح الطبقة البورجوازية في ثقافة ليبرالية، تولت التبشير بالديموقراطية (الجناح السياسي من الليبرالية) وبالرأسمالية (الجناح الإقتصادي من الليبرالية)، وذلك من خلال الصحافة والتي كانت تشكل في ذلك الوقت أكثر الأدوات الثقافية ملاءمة لمخاطبة العقل المصري.

ومن هذا المنظور للتطور الإجتماعي في مصر يمكن تفسير السبب في وجود بعض مظاهر الحياة الديموقراطية في البلاد، وهو الأمر الذي تمثل في إنشاء أول مجلس نيابي في الشرق كله..

ورغم أن الخديوي إسماعيل قد ملأ هذا المجلس في بدايته بصنائعه[٥٤] إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى أخذ المجلس يتطور. في طريق الإستقلال عن الخديوي، وقد وصل الأمر بالمجلس أن طالب في دورة يناير ١٨٧٩م بضرورة أن تعرض عليه الميزانية لإقرارها، فما كان من الحكومة إلا أن أصدرت مرسوماً بحل المجلس،

ولكن الأعضاء رفضوا الإنفضاض واجتمع الأعيان والعلماء والتجار والموظفين وأصدروا في ٢ أبريل ١٨٧٩م المحضر الوطني، وطالبوا فيه، الخديوي بأن يمنح المجلس الحرية التامة وجميع الحقوق في كافة الأمور المالية والداخلية كما هو جار في بلاد أوروبا [٥٥] وأن تعد لائحة الإنتخاب لتماثل ما يحدث في أوروبا، وإقرار مبدأ مسؤولية الوزارة أمام المجلس وقد أوعز الخديوي إسماعيل إلى إبنه توفيق بالإستقالة وتشكلت وزارة شريف باشا من العناصر الموالية للدستور في ٧ أبريل سنة ١٨٧٩م، ولقد سعت وزارة شريف باشا إلى إصدار لائحة المجلس الأساسية ولائحة الإنتخاب وإلى منح مجلس شورى النواب سلطة الجمعيات التأسيسية تمكيناً له من إصدار هاتين اللائحتين، وبذلك اعترفت الحكومة بمبدأ سيادة الأمة "وهكذا بدأت ثورة الأفكار في مصر والتطلع إلى الحرية والنظم الدستورية وتأصلت في نفس الطبقة المثقفة من الأمة" [٥٦].

وكما كان متوقعاً فقد وقف النفوذ الأجنبي ضد التطور الدستوري في مصر، فما كاد مجلس شورى النواب يقر اللائحة الأساسية ولائحة الإنتخاب ويرفعهما إلى الخديوي إسماعيل ليصدق عليهما، حتى ضغطت أوروبا على الباب العالى فخلع إسماعيل وولي مكانه إبنه توفيق في ٢٥ يونيو ١٨٧٩م، وعندما رفع شريف باشا اللائحتين إلى الخديوي توفيق للتصديق عليهما، امتنع عن التصديق عليهما، بتحريض من انجلترا وفرنسا اللتان عاونتاه على الإطاحة بكل المكاسب الدستورية التي تحققت للشعب المصري، فما كان من شريف إلا أن قدم استقالته من الوزارة.

ثم أعقب ذلك نفي جمال الدين الأفغاني من مصر. وتولى توفيق رئاسة الوزارة بنفسه لاغياً مجلس النظار، وأعاد الرقابة الثنائية في ٦ ديسمبر سنة ١٨٧٩م ثم ترك رئاسة الوزارة لرياض باشا في ٢١ ديسمبر ١٨٧٩م، والذي بدأ يحاول خنق كل روح للمعارضة. فامتدت يده إلى الصحف بالإنذار والتعطيل ثم الإغلاق نهائياً، كما حدث لصحف، مصر، والتجارة، مرآة الشرق، ومصر الفتاة.

ومن نفس المنظور الإجتماعي للتطور السياسي في مصر، يمكن أيضاً فهم الحرية التي تمتعت بها الصحافة المصرية في نهاية عصر إسماعيل فهذه الحرية هي التي مكنت الصحفيين الشوام من التعبير عن آراءهم وتطلعاتهم السياسية،

وأصبح في إمكان أديب اسحق مثلاً أن يهاجم الخلافة العثمانية وبقية حكام الشرق ويحملهم وزر ما تعانيه البلاد الشرقية من تدهور وانحلال فيقول : "إن استبداد ملوك الشرق واستئثارهم بالمنافع هو العلة الحقيقية في سقوط دولهم واختلال مواردها وتلاشي أحوالها [٥٧].

وقد وصل الأمر به أن طالب بالثورة للقضاء على الاستبداد في الشرق، "فإما أن يبدد الشرق بأنوار الحرية ظلمات الظلم وتقطع سيوف العزم علائق الاستبداد ويهدم بأيدي العلم سجون الاستعباد، فيعود إلى شأنه السابق ومجده الباسق، وإما أن يستمر على حاله راضياً بوجود يشبه العدم [٥٨]" والشيء الوحيد الذي ينقذ الشرق في رأيه هو "ضرب الاستبداد في أركان سطوته فلا يبقى له في الشرق من ذكر [٥٩]".

ويكتب سليم النقاش مهاجماً استبداد الحكومة العثمانية فيقول: "فمن آفات الشرق وطامته الكبرى، استبداد ملوكه وتحامل قويه على ضعلوكه [٦٠]".

ثم يتساءل الكاتب قائلاً: "كيف أن ثمانمائة مليون وطنوا الشرق من الأزل وهم لا يتنشقوا نسيم الحرية ولا يتذوقون طعم الراحة والإنسانية منذ خلق السلف حتى الخلف فكأنما اقتص الخالق منا وحدنا على ذنب آدمنا بعد أن وهبه الحرية فأفرط فيها فقيده وقيدنا إلى الأبد [٦١].

ويكتب سليم عنحوري وهو صحفي شامي آخر من الذين هاجروا إلى مصر عن انحطاط الشرق، حيث يرى أن سبب ذلك هو: "فساد أخلاق الأمراء وولاة الأمور وجهلهم بواجباتهم وسوء تدبيرهم واستبدادهم في الرأي واستئثارهم بالمجد، لا يعرفون شرعاً ولا يرضون قانوناً ولا يسمعون رأياً ولا يقبلون نصحاً [٦٢].

وعلاج هذا الإنحطاط في رأيه لا يكون إلا: "بقمع أولئك المستبدين وكف نفوذهم، وقلم أظافر تعديهم وتقييد سلطتهم ومقاومة سطوتهم وإيقافهم عند الحدود وإلزامهم بالشرائع والقوانين ولا يمكن ذلك إلا بأن تصير الحكومة شورية حقيقية لا تشوبها شائبة التقييد، يقوم بأمرها من يقدرها حق قدرها من ذوي الحكمة والتدبير"[٦٣].

ويكتب امين شميل عن الحرية فيقول: "إن الحرية معدومة في الاستبداد، إذ لا حرية حيث لا شريعة لأن الأحكام الاستبدادية من إقليم الحرية المطلقة فلا تسكن

إلا مع العبودية، لذلك كلما تحسنت شرائع قوم، اتسعت حريتهم المدنية" [٦٤].

أما بشارة تقلا صاحب الأهرام فيكتب عن حق الشعوب الشرقية في الدستور فيقول: "على من يتوهم أن شعوبنا لا تأهل للدستور أن يعدل ويتروى ليدرك خطأه، وأن لنا ما ليس لشعوب أوروبا من السهولة فانهم هم الذين أبدوا الحرية وأوجدوها بإراقة الدماء، أما نحن فنعول على الوصول إليها بحسن المعاملة دون ثورة ولا شقاق" [٦٥].

إن هذه النماذج التي انتقيناها من بين مئات المقالات التي كتبها الصحفيون الشاميون في صحفهم التي أصدروها بمصر خلال تلك الفترة لا يمكن أن يكون السماح بنشرها راجعاً إلى رغبة الخديوي إسماعيل التشبه بأوروبا، أومنافسة الآستانة، إذ أن الكثير من هذه المقالات يمس الخديوي إسماعيل نفسه ونظام حكمه.

فالتفسير الصحيح لوجود الحرية التي تمتعت بها الصحافة في مصر في تلك الفترة، إنما يكمن في كونها إنعكاس للتحولات الإجتماعية التي حدثت في بنية المجتمع المصري، حيث بدأ يتحول من الإقطاع إلى الرأسمالية، وما رافق ذلك من ظهور طبقة بورجوازية ناشئة، أخذت تتسلح بالفكر الليبرالي، ورأت في الديموقراطية، ومن بينها الحريات الصحفية وسيلة لتحقيق طموحاتها في المشاركة بالحكم.

سادساً: الصحافة الشامية المهاجرة في مصر

لقد بدأت الموجة الأولى لهجرة الصحفيين الشوام إلى مصر في السنوات العشر الأخيرة من حكم الخديوي إسماعيل (١٨٦٩-١٨٧٩م)، فقد هاجر لويس صابونجي من بيروت إلى القاهرة، حيث أصدر مجلة (النحلة الحرة) في عام ١٨٧١م، وقد حمل العدد الأول من المجلة الذي صدر بالقاهرة رقم ٣٢وهي بذلك تعتبر امتداداً لأعداد المجلة الواحد والثلاثين التي صدرت في بيروت [٦٦].

وبذلك يعتبر لويس صابونجي هو أول صحفي شامي يهاجر إلى مصر، وتعتبر مجلة (النحلة الحرة) أول صحيفة شامية تهاجر إلى مصر.

وقد اضطرت (النحلة) للهجرة من بيروت إلى القاهرة بعد أن أمر راشد باشا والي سوريا التركي بتعطيلها، وسبب ذلك أن صاحب (النحلة) لويس صابونجي قد ندد بالمعلم بطرس البستاني وخطأه في بعض المسائل العلمية التي نشرت في مجلة (الجنان) وفي جريدة (الجنة).

ولكن السبب الحقيقي في هجرة (النحلة) هو أن صاحبها قد "تجاوز الحدود التي كان قد فرضها على نفسه وتطرق إلى مسائل سياسية ومناظرات دينية" [٦٧].

وقد أشار لويس صابونجي إلى أسباب هجرة النحلة وإن كان بطريقة غير مباشرة عندما ذكر في افتتاحية أول عدد يصدره من المجلة بالقاهرة أن "النحلة الحرة تطبع في بلاد حرة، تنشر عند اللزوم ودون ميعاد، لإصلاح ما تفسده الجنة والجنان بين العباد [٦٨]".

وفي ٩ أغسطس ١٨٧٣م، أصدر سليم حموي جريدة (الكوكب الشرقي) بمدينة الأسكندرية، وهي أول جريدة شامية تصدر بالأسكندرية، وكانت أسبوعية تهتم بالسياسة والأدب، وفي نفس العام ١٨٧٣م أصدر سليم حموي بالأسكندرية أيضاً جريدة يومية هي (الكوكب) وكانت اهتماماتها تجارية أدبية، ولكن الصحيفتان لم تعمرا طويلاً إذ توقفتا في نفس العام .. ولا يعرف لتوقفهما سبباً إلا ما ذكره نجيب غرغور [٦٩] وأكده فيليب طرازي [٧٠] وهو "أن الحكومة أصدرت أمراً بإلغائها بلا

ذنب ولاسبب، فاستدعى محافظ الأسكندرية إليه صاحب الإمتياز سليم حموي وأجبره بالعنف على إرجاع الرخصة إلى الحكومة تنفيذاً لإرادة الخديوي بإلغاء الجريدتين، فتظلم سليم الحموي للخديوي إسماعيل باشا بواسطة خيري باشا نشراً وشعراً، فاستقدمه الخديوي إسماعيل وقال له: يسرني أن أرى شاباً مثلك ساعياً وراء الجد والإرتقاء، وأتمنى أن يكون في بلادي كثير من أمثالك يصرفون أوقاتهم في خدمة الآداب والحكومة والوطن، ولكن بما أن حالة البلاد لا تستوجب انتشار الجرائد العربية فيها بالوقت الحاضر رأيت أن ألغي جريدتك بلا ذنب ولا إثم يستوجبان هذا القصاص، ولكن ما قدر كان فاطلب ما شئت عوضاً عما خسرته".

وهذه القصة غير مقنعة لعدة اعتبارات منها أن القول بأن الخديوي إسماعيل قد أغلق الجريدتين لأنه كان يرى (أن حالة البلاد لا تستوجب انتشار جرائد عربية فيها بالوقت الحاضر)، قول لا يستقيم مع حقيقة وجود عدد من الصحف العربية في ذلك الوقت بمصر، إذ كيف سمح الخديوي إسماعيل للويس صابونجي بإصدار (النحلة الحرة) في عام ١٨٧١م، وقبل ذلك سمح لعبد الله أبو السعود بإصدار مجلة (وادي النيل) في عام ١٨٦٦م ثم هناك أيضاً (نزهة الأفكار) التي شارك في إصدارها إبراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال في عام ١٨٦٩م، هذا بالإضافة إلى الصحف الرسمية التي كانت تصدر في ذلك الوقت مثل جريدة (الوقائع المصرية)[٧١] ومجلة (روضة المدارس المصرية)[٧٢] وقبلهما مجلة (يعسوب الطب)[٧٣].

ونميل إلى الإعتقاد أن صحيفتي سليم حموي قد تعرضتا بشيء من النقد لبعض تصرفات الخديوي إسماعيل، فكان ما أصابهما من قرار الإلغاء، وبذلك كان مصيرهما يشابه نفس المصير الذي لاقته مجلة (نزهة الأفكار) التي لم يقدر لها الإستمرار لأكثر من عددين فقط، لتعرضها بالسوء إلى بعض تصرفات الخديوي[٧٤]، ومما يدعم هذا الرأي أن سليم الحموي[٧٥] عاد بعد خمسة أعوام فأصدر جريدة أخرى باسم (الأسكندرية) في يوليو ١٨٧٨م وقد انتقدت بعض تصرفات الخديوي إسماعيل أيضاً فأنذرتها الحكومة ثم عطلتها شهراً ثم أوقفتها نهائياً [٧٦].

ومن أبرز الصحفيين الشوام الذين هاجروا إلى مصر في تلك الفترة سليم تقلا [٧٧] حيث أصدر بالأسكندرية في ٥ أغسطس ١٨٧٩م، جريدة (الأهرام) وقد ساعده في تحريرها أخوه بشارة تقلا [٧٨].

ولأن الأهرام كانت تصدر أسبوعية، فقد أصدر الأخوين تقلا في ١٠ أكتوبر ١٨٧٩ جريدة يومية هي (صدى الأهرام)، حتى يتمكنا من متابعة أحداث الحرب الروسية العثمانية التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكانت تشغل الرأي العام المصري لمشاركة بعض الجنود المصريين بها.

وقد تجنس الأخوين تقلا بالجنسية الفرنسية، فأصبحا تحت الحماية الفرنسية، ولعل ذلك ما شجعهما على نقد بعض تصرفات الخديوي إسماعيل وخاصة في سنوات حكمه الأخيرة، ومن ذلك ما نشرته الأهرام في أبريل ١٨٧٩م، وفيه اتهام للخديوي إسماعيل بسرقة أموال الدولة [٧٩] كذلك نشرت (صدى الأهرام) مقالاً بعنوان (ظلم الفلاح) لمحت فيه إلى استغلال حكومة الخديوي للفلاح المصري، فألقي القبض على بشارة تقلا وقضى في السجن ثلاثة أيام وخرج بواسطة فرنسية [٨٠] وأصدر الخديوي إسماعيل أوامره بتعطيل الأهرام وصدى الأهرام، وعندئذ أصدر الأخوين تقلا جريدة (الوقت) التي استمرت في الصدور إلى حين وقوع أحداث الثورة العربية.

ويحتل أديب اسحق مكاناً بارزاً بين الصحفيين الشوام الذين هاجروا إلى مصر، حيث أصدر في القاهرة جريدة (مصر) في أبريل ١٨٧٧م، وذلك بتوجيه من السيد جمال الدين الأفغاني [٨١]، الذي "شارك أحياناً في الكتابة بها ولكن تحت اسم مستعار هو (المظهر بن وضاح) مما جعل لتلك الصحيفة شأناً مذكوراً" [٨٢].

وقد استمرت (مصر) في الصدور حتى أغلقت عقب نجاح التدخل الأجنبي في مصر وما نتج عنه من عزل الخديوي إسماعيل وتولية إبنه الخديوي توفيق، ثم ما كان من قيام توفيق بإقالة وزارة شريف باشا الدستورية.

وقد قامت جريدة (مصر) بدور هام في التعبير عن الحركة الوطنية المصرية في نهاية عصر إسماعيل، وخاصة في التعبير عن أفكار واتجاهات الجناح الذي كان يقوده ويوجهه جمال الدين الأفغاني [٨٣] كذلك يرجع إلى هذه الجريدة الفضل في

نقل مبادئ الحرية والمساواة التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية وتقديم خلاصة منها للقارئ المصري [٨٤].

ومن الصحف الشامية الهامة التي صدرت بمصر والتي كان لجمال الدين الأفغاني دور كبير في توجيهها، جريدة (التجارة) اليومية التي أصدرها سليم النقاش بمدينة الأسكندرية في ١٥ مايو ١٨٧٨م وشاركه في إصدارها أديب اسحق.

ورغم أن الجريدة قد صدرت كما يبدو من اسمها ومما ذكرته في افتتاحية عددها الأول: "لنشر الأخبار المالية وحركة التجارة والسوق [٨٥]" إلا أن أعدادها لم تكن تخلو من المقالات التي عبرت عن أفكار التيار الذي يقوده الأفغاني في مصر، وقد شارك في الكتابة بها عدد من تلاميذ الأفغاني ومريديه مثل الشيخ محمد عبده وإبراهيم اللقاني وعبد الله النديم، كذلك فقد مدها الأفغاني نفسه بعدد من المقالات.

وقد لقيت (التجارة) نفس المصير الذي لقيته جريدة (مصر) حيث أغلقت بأوامر من الخديوي توفيق في نهاية عام ١٨٧٩م بعد انقلابه على حركة الوطنية.

وقد عاد سليم النقاش فأصدر في ٥ يناير ١٨٨٠م جريدة (المحروسة) وكانت يومية، ثم أصدر في ٨ يناير ١٨٨٠م جريدة (العصر الجديد) وكانت أسبوعية، وشارك في تحرير الجريدتين عدد من الصحفيين الشوام مثل أديب اسحق وفضل الله الخوري وجرجس بن ميخائيل نحاس واسكندر نحاس وروفائيل الخوري وأمين البستاني وسليم بن عباس الخلفون، وكان الشيخ اسكندر العازار يراسلها من بيروت. كذلك شارك في الكتابة من الصحفيين المصريين عبد الله النديم [٨٦] وبقيت الجريدتان تصدران حتى قيام الثورة العرابية، ثم توقفتا بعد مذبحة الأسكندرية في ١١ يونيو ١٨٨٢م.

ومن الصحفيين الشوام الذين هاجروا إلى مصر في نهاية عصر الخديوي اسماعيل الشاعر والصحفي الدمشقي سليم عنحوري حيث أصدر في ٢٤ فبراير ١٨٧٩جريدة (مرآة الشرق) وذلك بتشجيع من الخديوي إسماعيل نفسه، وقد أعلنت الصحيفة أنها سياسية أدبية [٨٧]، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع.

ومما يؤكد أن الجريدة قد صدرت بوحي من الخديوي إسماعيل، أن سياستها

كانت تلتزم بالدفاع عن تصرفات الخديوي ومواقفه، وقد استمر سليم عنحوري في إصدار الجريدة حتى العدد السابع عشر، حيث اضطر إلى ترك الجريدة والعودة إلى بلاد الشام وذلك انصياعاً لنصائح الأطباء الذين أبلغوه بأن مناخ مصر لا يلائم صحته، وقد تنازل عنحوري عن حقوقه في الجريدة إلى أمين ناصيف اللبناني الذي سرعان ما غير من سياسة الجريدة، حيث وظفها لخدمة التيار السياسي الذي كان يقوده الأفغاني في مصر وعهد بتحريرها إلى الشيخ محمد عبده، وإبراهيم اللقاني، وبعد طرد الأفغاني من مصر عقب تولية توفيق باشا لكرسي الخديوية واجهت (مرآة الشرق) نفس المصير الذي واجهته بقية الصحف التي كانت تعبر عن الحركة الوطنية المصرية، فقد أوقفت الصحيفة لمدة ستة أشهر.

ولقد توقفت الموجة الأولى لهجرة الصحفيين الشوام إلى مصر تقريباً بعزل الخديوي إسماعيل في نهاية عام ١٨٧٩م وتولية إبنه الخديوي توفيق، فقد بدأ توفيق عهده بسياسة مناقضة تماماً لما كان يتوقعه الجميع، فقد انقلب على الحركة الوطنية وأغلق الصحف الوطنية، أما الصحف التي لم يصبها قرار الغلق فقد وضعت أمامها العديد من الصعاب والعقبات التي حالت بينها وبين حرية التعبير.

ثم وقعت أحداث الثورة العرابية والتي بدأت بمظاهرة الجيش في ثكنات قصر النيل وظهور زعامة أحمد عرابي الذي أصبح المدافع عن مطالب الجيش، وبعد مظاهرة عابدين في ٩سبتمبر ١٨٨١م حدث انقلاب سياسي في مصر [٨٨]، إذ عهد إلى محمد شريف باشا بتأليف وزارة دستورية ودعى مجلس شورى النواب للإنعقاد في ٢٦ ديسمبر ١٨٨١، وبينما كان النظام الجديد يستعد لإعلان اللائحة الأساسية التي تضمنت الأسس الدستورية للحياة النيابية الجديدة في مصر، قدم قنصلا انجلترا وفرنسا في ٨ يناير ١٨٨٢م مذكرة مشتركة إلى الخديوي يعلنان وقوفهما بجانبه وتأييد سلطته المطلقة، وكان هذا يعني تحريض الخديوي ضد الحياة النيابية الجديدة، وفي نفس الوقت نشب خلاف بين الحكومة ومجلس شورى النواب حول حق المجلس في مناقشة الميزانية، وكان هذا الخلاف بالإضافة إلى المذكرة المشتركة سبباً في استقالة وزارة شريف وتولية محمود سامي البارودي وكان أبرز ما عنيت به الوزارة الجديدة هو إعلان الدستور الذي تقرر فيه مبدأ سيادة الأمة وحق

المجلس في نظر الميزانية، وكان عمر هذا الدستور قصيراً، إذ ما لبثت الحرب أن نشبت بين العرابيين وانجلترا، وضاعت جميع المكاسب الدستورية باحتلال بريطانيا مصر.

وقد انعكس الإضطراب الذي ساد الحياة السياسية في مصر في هذه الفترة، على الهجرة الصحفية الشامية إلى مصر، إذ تكاد هذه الهجرة أن تكون قد توقفت واضطر عدد كبير من الصحفيين الشوام إلى إغلاق جرائدهم والعودة إلى الشام، فبعد أن أعاد أمين ناصيف (مرآة الشرق) كمجلة أسبوعية في ٦ إبريل ١٨٨٢م، وعهد بتحريرها إلى الشيخ خليل ناصيف اليازجي [٨٩] لم تستمر في الصدور لأكثر من شهر، إذ اضطرت إلى الإحتجاب بعد تصاعد الخلاف بين الخديوي توفيق ورجال الثورة العرابية.

كذلك فقد أصدر ميخائيل بن جرجس عورا مجلة (الحضارة) في ٢٢ مايو ١٨٨٢م وكانت تصدر مرتين في الشهر ومن اثنين وثلاثين صفحة، وتهتم بالآداب والعلوم والتاريخ [٩٠] ولكنها أيضاً لم تعمر طويلاً رغم أنها لم تتحدث في السياسة، فقد أغلقت بسبب هرب صاحبها من مصر إلى سوريا بسبب أحداث الثورة العرابية.

أما أصحاب الأهرام سليم وبشارة تقلا فقد كانا يصدران صحيفة (الوقت) التي عاشت إلى أيام الثورة العرابية، ولكنها ما لبثت أن عطلت بسبب مناصرة أصحابها للخديوي ضد رجال الثورة العرابية، فأصدر صاحبا الأهرام في ٩يونيو١٨٨٢ جريدة (الأحوال) ولكن أيامها كانت قصيرة، فقد حدثت مذبحة الأسكندرية وقام الثائرون من أهالي الأسكندرية بالهجوم على مطبعة الأهرام وإحراقها بسبب مناصرة أصحابها للخديوي، وقطع أديب اسحق، وكان موظفاً في الحكومة المصرية وعمل كاتماً لأسرار مجلس النواب، كل صلة له بجريدة (مصر) وتركها لشقيقه عوني اسحق ، ولم يبق يومئذ من الصحف الشامية غير جريدة (المحروسة) لسليم النقاش، إذ "بقيت موالية للحكومة حتى عطلها عرابي ثلاثة أيام [٩١] فاضطر إلى العودة إلى سوريا.

وإذا كان النقص الشديد في هجرة الصحفيين الشوام إلي مصر في بداية عهد

الخديوي توفيق يمكن تبريره بالمناخ المعادي لحرية الصحافة الذي أشاعه محمد رياض باشا رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت، والذي عرف باستبداده وتسلطه فإنه مما يثير التساؤل أن تتوقف هذه الهجرة تماماً أثناء أحداث الثورة العرابية (سبتمبر ١٨٨١م - يوليو ١٨٨٢م) رغم الحريات التي تمتعت بها الصحف في هذه الفترة القصيرة والتي شهدت انتعاش الآمال في حياة دستورية.

بل إن التساؤل يزداد أهمية عندما نعرف أن الصحفيين الشوام في مصر تعرضوا خلال هذه الفترة إلى حملة شديدة من النقد من جانب الصحف الوطنية المصرية المؤيدة للثورة العرابية.

إن تفسير هذه الظاهرة يكمن في الموقف المعتدل الذي اتخذته الصحف الشامية في مصر من الثورة، فمن الأمور اللافتة للنظر أن أكثر الكتاب والصحفيين الشوام كانوا من أشد المدافعين عن الحرية وأقوى المعارضين للإستبداد، ثم تحولوا فجأة إلى موقف الاعتدال في طلب الحرية، وهو الأمر الذي أسخط عليهم قادة الثورة، وبعد أن كانت الصحف الشامية هي لسان حال الحركة الوطنية في مصر. خلال الفترة السابقة على الثورة، نجد هذه الصحف تتهرب من أداء هذا الدور "وتلبس ثوب الإعتدال [٩٢]"، ولذلك لم يكن غريباً أن يستعيض قادة الثورة عن الصحف الشامية بصحف أخرى يصدرها صحفيون مصريون، مثل جريدة المفيد لحسن الشمسي والطائف لعبد الله النديم والوقائع المصرية التي كان يرأس تحريرها في ذلك الوقت الشيخ محمد عبده.

ويلخص حسن الشمسي صاحب جريدة المفيد موقف قادة الثورة العرابية تجاه الصحفيين الشاميين، فكتب يقول: "كل من جريدة الأحوال والمحروسة ومصر أتانا أصحابها وجيوبهم أفرغ من فؤادهم من الوطنية التي أدعوها ترويجاً لمقاصدهم، فأنشأوا بين أيدينا جرائدهم، ودعوا باسم الوطنية والخدمة الإنسانية والحال في سكون، فلما ارتبكت الحال قطعوا ألسنة جرائدهم ورجعوا بلادهم بجر الحقائب، فنعم الأحباب لازمونا في الهناء وفارقونا في الشقاء" [٩٣].

وقد نتج عن حملة الصحف الوطنية على الصحف الشامية، أن اضطر كثير من الصحفيين الشاميين إلى مغادرة مصر.

إن الموقف المعتدل أو على الأصح الموقف (المتحفظ) الذي اتخذته الصحف الشامية من الثورة العرابية يحتاج أيضاً إلى تفسير، خاصة وأن الصحفيين الشوام لعبوا دوراً هاماً في التمهيد الفكري لهذه الثورة ..

وفي هذا المجال يمكن تقديم ثلاثة مؤشرات يمكن أن تعطينا تفسيراً لهذا الموقف، أو تكشف لنا عن بعض مبرراته:

أولاً: إن الصحفيين الشوام لم ينفردوا وحدهم بالموقف المعتدل أو المتحفظ تجاه الثورة العرابية، وإنما شاركهم فيه عدد من كبار الصحفيين المصريين في ذلك الوقت مثل ميخائيل عبد السيد صاحب جريدة الوطن [٩٤]، والشيخ محمد عبده رئيس تحرير جريدة (الوقائع المصرية) [٩٥].

ثانياً: يلاحظ وجود تيارين فكريين توزع بينهما الصحفيون المصريون والشوام في ذلك الوقت تجاه الثورة العرابية:

التيار الأول:

تيار ليبرالي معتدل، يؤمن بالحكومة المقيدة، ولا يذهب إلي أبعد من المطالبة بإيجاد حكومة مسؤولة أمام برلمان شعبي منتخب في ظل الولاء للخديوية.

وكان يعبر عن هذا التيار من الصحفيين المصريين ميخائيل عبد السيد والشيخ محمد عبده ومن الصحفيين الشوام سليم وبشارة تقلا وأديب اسحق وسليم نقاش.

التيار الثاني:

تيار ليبرالي ثوري، يطالب بالدستور والبرلمان ولكنه يصل في عدائه للخديوية إلى حد التهديد بإقامة الجمهورية [٩٦].

وكان يعبر عن هذا التيار في الصحافة كل من عبد الله النديم وحسن الشمسي.

ثالثاً: التخوف التقليدي الذي يشعر به المثقفون تجاه سيطرة العسكريين على الحركة الوطنية، وما يمكن أن تجره هذه السيطرة من أخطار على مستقبل البلاد، وذلك لما يعرف عن العسكريين "من جهل بالأمور

السياسية، وتطرف وميل طبيعي إلي الإستبداد" [٩٧]، ولعل أصدق تصوير لهذا التخوف ما كتبه ميخائيل عبد السيد في مجال تعليقه على مظاهرة الجيش في سبتمبر ١٨٨١م، حيث قال: "ويخشى أن ما بنته هذه الأسرة (يقصد أسرة محمد علي) في مائة سنة نهدمه في يوم واحد، ونتقهقر إلى حضيض الذل بعد العز، وتقول الناس علينا أنه لا ينفع في المصريين إلا من كان رأيه الفتك والهتك أو الإحتيال والإغتيال، وأنهم تعودوا على ذلك منذ ألوف السنين [٩٨].

ثم تدفقت الموجة الثانية من الصحفيين الشوام إلى مصر عقب الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م، وقد استمر هذا التدفق إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م).

وقد بدأت هذه الموجة بعودة الصحفيين الشوام الذين سبق واضطروا لإغلاق جرائدهم، والهرب إلى الشام أثناء أحداث الثورة العرابية، فقد عاد إلى مصر سليم وبشارة تقلا وأصدرا (الأهرام) من جديد، وقد اضطرا في البداية أن يطبعا الجريدة في مطبعة أخرى بسبب الحريق الذي أصاب مطبعة الأهرام بيد الثوار أثناء مذبحة الأسكندرية، وفي ٢٩سبتمبر١٨٨٢م، أي بعد دخول الجيش الإنجليزي إلى القاهرة بأربعة عشر يوماً فقط [٩٩]، نشرت الأهرام صورة للجنرال ولسلي قائد الحملة الإنجليزية على صدر صفحتها الأولى ورحبت بالإنجليز وهاجمت عرابي ووصفته بالعاصي، وأطلقت على رجال الثورة العرابية لقب البغاة [١٠٠] وقد أعاد الأخوين تقلا بناء مطبعة الأهرام بعد أن نالا تعويضاً مجزياً من الحكومة المصرية مقابل حرق المطبعة.

وقد استمرت الأهرام في الصدور بمدينة الأسكندرية إلى ما بعد وفاة سليم تقلا في عام ١٨٩٢م، وباشر بشارة تقلا إدارة الجريدة وتحريرها، ثم قام بنقل إدارة الأهرام إلى القاهرة، وفي نفس الوقت أصدر جريدة (صدى الأهرام) بالأسكندرية لتقوم بنشر الأخبار بين سكان الثغر.

وعندما توفى بشارة تقلا في عام ١٩٠١م خلفه في إدارة الأهرام جبرائيل تقلا.

ورغم أن الأهرام رحبت بالاحتلال البريطاني وتحمست له في البداية، إلا أن ذلك الموقف لم يدم فترة طويلة، فقد أخذت الأهرام في معارضة سلطات الاحتلال في كثير من الأمور الداخلية والخارجية [١٠١] ، ثم استقرت سياسة الأهرام بعد ذلك في الدعوة لأن تكون مصر للمصريين تحت السيادة العثمانية [١٠٢]، مع ميل إلى تأييد السياسة الفرنسية [١٠٣].

وقد شارك عدد كبير من الصحفيين الشوام في تحرير الأهرام ومنهم اسكندر صباغ وچورچي نصار وقيصر رينيه وخليل زيدان ونجيب حداد ورشيد شميل وخليل زينيه وخليل مطران وخليل جاويش وداود بركات ويوسف بستاني ونيقولا حداد وانطون الجميل وإبراهيم بن سليم نجار وفتح الله جاويش الذي كان مراسلاً للأهرام في سوريا.

وكذلك عاد أمين ناصيف وأصدر من جديد صحيفة (مرآة الشرق) التي توقفت عن الصدور أثناء أحداث الثورة العرابية وصدر العدد الجديد في ١٤ إبريل ١٨٨٢م. وشاركه في تحريرها نيقولا توما وتولى تحريرها بعد ذلك كل من سليم بن عباس الشلفون ثم اسكندر نحاس ثم سعيد البستاني واستمرت الجريدة في الصدور حتى شهر أبريل ١٨٨٦م عندما صدر قرار من نوبار باشا رئيس الوزراء في ذلك الوقت بتعطيلها إلى الأبد وذلك تلبية لطلب رسمي من الباب العالي في تركيا وذلك لطعنها في السلطان وسياسته [١٠٤].

وقد أصدر أمين ناصيف جريدة أخرى في ٢سبتمبر ١٨٨٦م باسم (الصادق) وقد كانت معارضة لسلطات الاحتلال البريطاني، واستمرت في الصدور أربع سنوات، ثم احتجبت بعدها لمرض ألم بصاحبها أضطر معه إلى مغادرة مصر إلى مدينة القدس.

وعاد أيضاً من سوريا سليم النقاش وأعاد إصدار جريدة (المحروسة) في عام ١٨٨٤م وذلك بعدما نال من الحكومة المصرية أربعين ألف فرنك تعويضاً عما لحق به من خسائر لاحتراق مطبعته أثناء أحداث الثورة العرابية [١٠٥] وقد استمرت المحروسة تصدر أسبوعياً حتى وفاة سليم النقاش في نهاية عام ١٨٨٤م، حيث تولى إدارة الجريدة إبنه خليل النقاش الذي حولها في عام ١٨٨٦م إلى جريدة

يومية، وكان يساهم في تحريرها من الصحفيين الشوام سليم بن عباس الشلفون وجورجي بن ميخائيل نحاس.

وفي ١١ يناير ١٩٠٩ انتقل امتياز (المحروسة) إلى الياس زيادة [١٠٦] وقام بتحريرها عدد من الصحفيين الشوام مثل إبراهيم الحوراني وإدوار مرقص وسليم قبعين وأمين تقي الدين وفرح أنطون [١٠٧]، ومي زيادة إبنة الياس زيادة.

وإلى جانب عودة الصحفيين الشوام الذين هربوا من مصر أثناء الثورة العرابية، فقد هاجرت إلى مصر أعداد أخرى من الصحفيين الشوام وأصدروا بالقاهرة والأسكندرية صحفا شامية جديدة ففي عام ١٨٨٣م هاجر إلى مصر كل من يعقوب صروف وفارس نمر[١٠٨] واصطحبا معهما مجلة (المقتطف) التي كانا قد أصدراها في بيروت في أول يونيو ١٨٧٦م.

ولم تمض سنة على إعادة إصدار المقتطف في مصر "حتى أصبحت أحد المنابر الكبرى للرأي، فعلى صفحاتها بين ١٨٨٤-١٨٨٦م ناقش شبلي الشميل وابراهيم الحوراني وهما من خريجي الكلية السورية الإنجيلية نظرية داروين في النشوء والإرتقاء فأيدها الأول وهاجمها الأخير".[١٠٩]

ثم اشترك صروف ونمر مع شاهين مكاريوس في إصدار جريدة (المقطم) التي ظهر عددها الأول في ١٤ فبراير ١٨٨٩م. وكانت جريدة يومية سياسية تناصر سلطات الإحتلال البريطاني في مصر، وقد بلغ من خطورتها في مناصرة الإحتلال البريطاني، إن تكاتف الوطنيون المصريون على إصدار جريدة يومية وطنية لمواجهة المقطم.[١١٠]

فظهرت جريدة (المؤيد) التي حررها الشيخ على يوسف، وقد استمرت مجلة المقتطف وجريدة المقطم في الصدور حتي وفاة فارس نمر في عام ١٩٥٢م.

ومن الصحفيين الشوام الذين هاجروا إلى مصر بعد الإحتلال سليم فارس بن أحمد فارس الشدياق الذي أصدر في ٢٣ نوفمبر ١٨٨٥م جريدة (القاهرة) أمل أن يصل بها إلى شهرة جريدة (الجوائب) التي أصدرها أبوه في العاصمة التركية، ولكن الجريدة لم تستطع أن تصمد لأكثر من عدة أشهر وتوقفت، فأصدر جريدة أخرى باسم (القاهرة الحرة) في يونيو ١٨٨٦م وقد اتخذ سليم فارس في

الجريدتين سياسة الدفاع عن الخلافة العثمانية وانتقاد الإحتلال البريطاني لمصر[١١١]

وهاجر إلى مصر أمين شميل الذي أصدر جريدة (الحقوق) في ٦ مارس ١٨٨٦م، وهي تعتبر أول صحيفة قانونية قضائية في مصر، وقد استمرت في الصدور حتى وفاة صاحبها في ٦ ديسمبر ١٨٩٧م وانتقل امتياز إصدارها إلى المحامي ابراهيم جمال.

وأصدر شاهين مكاريوس مجلة شهرية هي (اللطائف) في ١٥ مايو ١٨٨٦م وكانت تهتم بالآداب والعلوم وذات طابع فكاهي، وتوقفت المجلة بوفاة صاحبها في ١٢ يونيو ١٩١٠م.

وأصدر الدكتور شبلي شميل[١١٢] في ١٥ فبراير ١٨٨٦م مجلة (الشفاء) وهي شهرية تهتم بالشؤون الطبية وقد توقفت المجلة في سنتها الخامسة بسبب قلة الإشتراكات.

وأنشأ نجيب غرغور جريدة باسم (البيغاء) في عام ١٨٨٧م بمدينة الإسكندرية وكانت جريدة أسبوعية مصورة ذات طابع هزلي ولكنها لم تستمر في الصدور لأكثر من خمسة أعداد فقط، ثم أصدر غرغور جريدة أخرى بمدينة الإسكندرية باسم (المنارة) وذلك في عام ١٨٨٨م وكانت جريدة مصورة كسابقتها ولم يكن حظها بأفضل من حظ سابقتها فقد توقفت عن الصدور بعد ستة أعداد فقط!.

ثم اشترك نجيب غرغور مع الحاخام فرح مزراحي في إصدار جريدة (الحقيقة) في ٢ مارس ١٨٨٨م، وتولى غرغور تحريرها لمدة عامين، ثم احتجبت الجريدة عن الصدور فترة ثم أعاد إصدارها جورج مرزا البيروتي ولكنها لم تستمر سوى فترة قصيرة.

وفي عام ١٨٨٨م أيضا أصدر نجيب غرغور مجلة (حديقة الأدب) وذلك لنشر الروايات العربية والمترجمة وقد توقفت المجلة بعد أربعة أعداد. !

وأنشأ خليل زينية في مارس ١٨٨٨م مجلة (الراوي) الشهرية بالإسكندرية وكانت مجلة أدبية وقد توقفت بعد سنتين.

وأصدر نقولا توما مجلة (الأحكام) في أول يونيو ١٨٨٨م وكانت مجلة شهرية

تعني بالشؤون القضائية وبها بعض الصفحات الأدبية وقد توقفت المجلة بعد صدور عددها العاشر، ثم عاد صاحبها إلى إصدارها من جديد في عام ١٨٩٥م وبعد عدة أشهر توقفت نهائيا.

وقد صدر في هذه الفترة أيضا عدد من الصحف الشامية لعل أهمها مجلة (الرياض المصرية) التي شارك في إصدارها محمد المخزومي وعبد الرحمن الحوت في ١٧ سبتمبر ١٨٨٨م، وجريدة (المحاكم) التي أصدرها يوسف رصاف في ٤ مايو ١٨٩٠م، وجريدة (صدى الشرق) التي أصدرها حبيب فارس اللبناني في ٩إبريل ١٨٩١م.

ومن المجلات الشامية الهامة التي صدرت في هذه الفترة مجلة (الهلال) التي أنشأها جورجي زيدان[١١٣] في أول سبتمبر ١٨٩٢م والتي ماتزال تصدر حتى الآن من القاهرة.

وهي مجلة شهرية ثقافية تهتم بالآداب والفنون والعلوم والتاريخ وتعتبر سجلاً هاماً للفكر العربي والمصري الحديث.

إن التدفق الكبير من جانب الصحفيين الشوام على الهجرة إلى مصر في تلك الفترة يطرح سؤالاً هاماً وهو: ما العوامل التي شجعت على هجرة الصحفيين الشوام إلى مصر في تلك الفترة؟، ونرى أن من الأمور التي شجعت على هجرة الصحفيين الشوام إلى مصر، هو ما تمتعت به الصحافة في مصر من الحريات الصحفية، التي سمحت بها سلطات الإحتلال البريطاني، وخاصة في فترة تولي يارينج (الذي عرف باسم اللورد كرومر منذ عام ١٨٩١م) منصب القنصل العام لانجلترا في مصر (١٨٨٣-١٩٠٨م)، فقد كان اللورد كرومر "يميل إلى مبدأ حرية الصحافة باعتبارها صمام الأمان للتعبير عن الشعور الوطني في البلاد" [١١٤]

ويذكر اللورد كرومر في أحد تقاريره السنوية عن مصر موقفه من حرية الصحافة فيقول: "وإني رأيت أولاً أن الحجج التي تقدم لتقييد حرية الصحافة لا تعادل الحجج التي تقدم لإطلاق حريتها، وثانيا لأن كبار رجال الحكومة يستطيعون احتمال نقد الصحف لهم، فمرت سنوات عديدة والصحف المصرية تامة الحرية، ومع أن القانون كان يخول للحكومة الحق في أن تطلب من صاحب كل جريدة أن يحصل

على رخصة قبل إصدار جريدته إلا أنها لم تنفذ ذلك فترة طويلة.[١١٥]

ورغم وجود عدة تحفظات على أقوال اللورد كرومر، حيث شهدت الفترة التي عاصرت توليه منصبه في مصر صدور العديد من أوامر التعطيل والإنذار للكثير من الصحف [١١٦] إلا أنه لا يمكن إنكار أن الصحافة المصرية قد تمتعت في عهده بدرجة ما من الحرية، لم تكن تتوفر في ذلك الوقت في أي مكان بالوطن العربي وهو الأمر الذي جعل مصر قبلة للصحفيين الأحرار من مختلف أقطار الأمة العربية، وخاصة من بلاد الشام التي حرمت من أي درجة من درجات الحرية الصحفية.

بل إن الحرية التي تمتعت بها الصحافة المصرية في عهد اللورد كرومر، بصرف النظر عن درجة هذه الحرية وحظها من الضعف أو القوة، هي التي مكنت الصحافة المصرية من أن تكون الأداة الأساسية للحركة الوطنية "من حيث أنها كانت في بعض الأحيان النواة التي نمت حولها هذه الحركة، كما حدث بالنسبة لصحيفة اللواء أو كانت في أحيان أخرى أعلى صوتا من الجماعات السياسية التي تمثلها [١١٧] وهناك ظاهرة هامة صاحبت ظهور الحياة الحزبية في مصر وربما انفردت بها مصر، تلك هي ظهور الأحزاب المصرية في كنف دور الصحف، "فبدلاً من أن تنشئ الأحزاب صحفاً ناطقة باسمها، أنشأت الصحف أحزاباً كتجسيد مادي لإرادتها" [١١٨]

وقد ظلت هذه هي السمة الغالبة على تكوين الأحزاب في مصر حتي الحرب العالمية الأولي.[١١٩]

ويمكن تفسير هذه الظاهرة بأن حرية الصحافة قد سبقت حرية العمل السياسي والعمل الحزبي في مصر فقد نتج عن السياسة التي اتبعتها انجلترا في إطلاق حرية الصحافة (أن ظهرت جماعات من الكتاب والمفكرين تدرجوا حتى أصبحت تدور حولهم وحول صحفهم أحزاب سياسية).[١٢٠]

فقد أنشأ مصطفي كامل صحيفة اللواء في أول يناير ١٩٠٠م في حين نراه لا يعلن عن قيام الحزب الوطني إلا في نهاية ١٩٠٧م، كذلك أصدر الشيخ علي يوسف جريدة (المؤيد) في عام ١٨٨٩م بينما لم يعلن عن قيام حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية إلا في عام ١٩٠٧م أيضاً، كذلك فقد صدرت جريدة (الجريدة) في إبريل

١٩٠٧م بينما لم يعلن عن حزب الأمة إلا في شهر سبتمبر من نفس العام، كذلك فقد نشأ -على سياسة صحيفة (المقطم) الإحتلالية التي صدرت في ١٨٨٨م - الحزب الوطني الحر والذي أعلن عنه في نهاية عام ١٩٠٧م، وبذلك كانت الأحزاب ثمرة من ثمرات الصحافة ونتيجة من نتائج الحرية التي تمتعت بها هذه الصحافة في تلك الفترة.[١٢١]

ولذلك لم يكن غريباً أن يطلق علي المرحلة التاريخية التي أعقبت الإحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م وحتى بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، بالمرحلة الصحفية في تاريخ الحركة الوطنية المصرية..!

وثمة ظاهرة جديرة بالإنتباه في تلك الفترة، وهي أن نسبة غير قليلة من الصحفيين الشوام والصحف الشامية في مصر، كانت تمالئ سلطات الإحتلال البريطاني وتؤيدها في مواجهة الحركة الوطنية المصرية التي كانت تطالب بجلاء القوات البريطانية من مصر، وهو عكس ما كان عليه موقف الصحفيين الشاميين أثناء هجرتهم الأولى في أواخر عهد اسماعيل، حيث شاركوا الصحفيين المصريين في مقاومة الإستبداد الداخلي والنفوذ الأجنبي، ولعبوا دوراً قيادياً في هذا المجال، مثلما كان الحال مع أديب اسحق وسليم النقاش وأمين شميل وسليم عنحوري وبشارة وسليم تقلا، وغيرهم من الصحفيين الشوام، ورغم موقفهم المتحفظ بعد ذلك من الثورة العرابية، فإنهم اكتفوا بموقف الإعتدال، ولم يصلوا مطلقاً إلى درجة التعاطف مع النفوذ الأجنبي أو تأييده.

ولكن فترة ما بعد الإحتلال، شهدت العديد من الصحفيين الشوام الذين اتخذوا موقفاً صريحاً في تأييد الإحتلال ومعاداة الحركة الوطنية المصرية مثلما فعل أصحاب (المقطم) و(المقتطف).

وفي مجال تفسير هذه الظاهرة، وجد رأي يقول بأن أغلب الصحفيين الشوام "جاءوا إلى مصر هربا من الإضطهاد التركي ووجدوا في مصر ملجأ ومتنفساً، فحاولوا أن يلجأوا إلى نفس الأسلوب القديم الذي لجأ إليه كل القادة المعزولين عن حركة الجماهير، وهو أسلوب اللعب علي الحبال ومحاولة الإستعانة بالانجليز ضد الإتراك".[١٢٢]

وهناك رأي آخر يعتقد بأن "سياسة كرومر أغرت بعض الصحفيين الشاميين في مصر الذين يحلو لهم أن يستمتعوا بمجرد النقاش الحر، أغرتهم بمناقشة مشاكل الدين والعقيدة والعلوم الطبيعية وأصل الكون والإنسان، وما إلى ذلك من القضايا التي كانوا محرومين من مناقشتها في بلادهم، وكانوا يظنون وهم يتمتعون بهذه المناقشة الحرة في مثل هذه المواضيع، أنهم يعيشون في واحة الديموقراطية ولم يدروا أن الشعب المصري كان يعاني من قيود الإحتلال ومن وطأته، وهنا يكمن الفارق بين المفكر التقدمي الذي يقف عند حدود التفكير وبين المناضل الذي يتلمس طريقه نحو حركة الجماهير".[١٢٣]

ولكننا نرى أن التفسير السليم لظاهرة تأييد الصحفيين الشوام لسلطات الإحتلال البريطاني في مصر، يرجع إلى المسار الذي اتخذته الحركة الوطنية المصرية بعد فشل الثورة العرابية ووقوع البلاد تحت براثن الإحتلال، إذ انصرف جهد المصريين إلى مقاومة الحكم البريطاني، وأصبحت هذه الفكرة هي المسيطرة على تفكيرهم، وكان من الطبيعي في هذه اللحظة، أن يتطلعوا إلى تأييد دولة إسلامية كبرى كالدولة العثمانية، "وأن يجدوا في دعوة الجامعة الإسلامية عامل دعم لهم في نضالهم ضد الإحتلال".[١٢٤]

إن سيطرة هذا الإتجاه المؤيد للدولة العثمانية على الحركة الوطنية المصرية منذ وقوع الإحتلال وحتى سقوط الخلافة العثمانية في تركيا في نهاية الحرب العالمية الأولى أدى إلى حدوث انشقاق عقائدي، فصل ما بين مصر وشعوب المشرق العربي"، [١٢٥] "وعزل مصر لفترة عن مجرى الحركة القومية العربية".[١٢٦]، في المشرق العربي.

ففي الوقت الذي كانت فيه الحركة الوطنية في مصر تستعين بدولة الخلافة لإخراج الإنجليز، كانت شعوب المشرق العربي وفي شبه الجزيرة العربية والشام تكافح في سبيل تحررها من السيطرة العثمانية وتتطلع إلى تأييد انجلترا "التي تحتل مصر" وغيرها من الدول الأوربية.

فأعداء الحركة الوطنية المصرية (انجلترا) كانوا حلفاء للحركة القومية العربية في المشرق العربي وأعداء الحركة القومية العربية في المشرق (الأتراك العثمانيون)

كانوا حلفاء للحركة الوطنية المصرية.

لذلك لم يجد بعض الصحفيين الشوام في مصر حرجا من صداقة وتأييد سلطات الإحتلال البريطاني، بل اعتقدوا أن هذه الصداقة يمكن أن تكون أداة لخدمة الكفاح الوطني ضد العثمانيين في بلاد الشام.

ولم يدرك الشاميون عدم جدوى فكرة الإعتماد على قوة أجنبية (ذات طبيعة استعمارية) لمساعدتهم في نيل الإستقلال الوطني، إلا بعد فوات الأوان، فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، اكتشفت الحركة الوطنية في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، طبيعة الشرك الذي أوقعوا أنفسهم فيه بالتعاون مع الانجليز والفرنسيين فقد أفاق المشرق العربي بعد الحرب ليجد نفسه وقد استبدل بالإحتلال التركي العثماني، احتلالا انجليزيا أوفرنسيا.

سابعاً: الصحافة المصرية المهاجرة

الأمر المؤكد أن تاريخ الصحافة المصرية المهاجرة يبدأ عندما هاجر يعقوب صنوع إلى فرنسا، حيث أعاد إصدار جريدته (أبو نظارة) في باريس عام ١٨٧٨م، وبذلك تكون فرنسا هي أول دولة أوروبية تصدر بها صحيفة مصرية مهاجرة.

وقد صدرت صحيفة (أبو نظارة) أول مرة في مدينة القاهرة في عام ١٨٧٧م، تحت اسم (أبو نظارة زرقاء) وأعلنت في صدر صفحتها الأولى أنها جريدة مسليات ومضحكات [١٢٧].

وقد صدر من الجريدة بالقاهرة خمسة عشر عدداً، وقد تجرأ صنوع وتناول في جريدته بالنقد بعض تصرفات الخديوي إسماعيل، وهو الأمر الذي جعل الخديوي ينقم عليه، بل وأن يفكر في قتله بالسم، كما ادعى يعقوب فيما بعد، وهو ما دفعه إلى الهرب إلى فرنسا، حيث استقر في مدينة باريس وقرر أن يعاود إصدار صحيفته فيها، وقد اتخذت الصحيفة في المهجر عدة أسماء، فقد أصدرها أولاً تحت إسم (رحلة أبو نظارة زرقا الولي)، ثم غير اسمها بعد ذلك إلى (أبو نظارة زرقاء)، ثم غيرها إلى (النظارة المصرية) ثم إلى (أبو صفارة) وبعدها إلى (الحاوي)، ثم عاد مرة أخرى إلى الإسم القديم (أبو نظارة زرقاء)، وقد بلغت أسماء صحيفته اثني عشر اسماً، كذلك فقد اختلف بعضها عن البعض الآخر في الشكل والحجم، ولكن المحتوى كان واحداً مما يجعلنا نميل إلى اعتبارها جميعاً صحيفة واحدة وإن كانت متعددة الأسماء، ومرجع ذلك أن الحكومة المصرية كانت تتعقب الصحيفة بالمصادرة كلما حملتها السفن إلى مصر، وقد نشطت الحكومة في ذلك في عهد إسماعيل وكذلك في عهد توفيق واستمر ذلك الموقف في ظل الإحتلال البريطاني لمصر، فكان يعقوب صنوع يغير اسم الجريدة وحجمها حتى يهرب بها من المراقبة والمصادرة في الموانىء المصرية، ويؤكد هذه الحقيقة يعقوب صنوع في مذكراته حيث يقول: "فإنه منذ نفيت في عام ١٨٧٨م إلى اليوم كانت صحيفتي تدخل سراً إلى مصر، وتباع بالآلاف وما أكثر الحيل التي توسلت بها لتهريب صحيفتي رغم

أنف البريد المصري والإنجليزي [١٢٨] وقد استمر يعقوب صنوع في إصدار جريدته حتى عام ١٩١٠م حيث أعجزته حالته الصحية عن العمل، ولم يلبث أن توفى بعدها بعامين في ١٩١٢م بباريس.

ومن الملاحظات الجديرة بالإنتباه أن يعقوب صنوع عندما فكر في الهجرة (أو الهرب كما يدعي) من مصر، لم يهاجر إلى إيطاليا التي سبق له وأن نال حمايتها ليستطيع إصدار صحيفته بالقاهرة، في وقت كانت فيه هذه الحماية تسبغ على صاحبها حصانة من عسف السلطة الحاكمة في مصر، فلماذا اختار صنوع التوجه إلى فرنسا بدلاً من إيطاليا.؟ لا توجد إجابات حاسمة على هذا السؤال، ولكن توجد عدة مؤشرات قد توضح جانباً من الحقيقة، فهناك أولاً إجادته للغة الفرنسية بالإضافة إلى ثقافته الفرنسية، وهو الأمر الذي يمكن أن يجعل إقامته في فرنسا ممكنة، وهناك ثانياً الطموح الفرنسي لاحتواء مصر والذي لم يتوقف منذ غادرت الحملة الفرنسية مصر في عام (١٧٩٩-١٨٠١م)، وهو الأمر الذي جعلها ترحب بكل من ترى فيه فائدة محتملة لدعم نفوذها في مصر.

وهنالك عامل أخير، وهو أن هجرة يعقوب صنوع إلى فرنسا كانت بالإتفاق مع الأمير حليم شقيق الخديوي إسماعيل، والطامع إلى تولي منصب الخديوية في مصر، وكان حليم يأمل في أن يكون صنوع هو جسر التفاهم بينه وبين الحكومة الفرنسية، ولعله من المفيد أن نشير إلى أن إسماعيل قد خلع من كرسي الخديوية بعد عام واحد من هجرة صنوع إلى فرنسا، ولا يخفى الدور الفرنسي البارز في خلع إسماعيل ولكن من المؤكد أن انجلترا نجحت في أن تضع على كرسي الخديوية واحداً من رجالها في الأسرة العلوية الحاكمة في مصر وهو الخديوي توفيق بن إسماعيل، وأن تستبعد رجل فرنسا الأمير حليم، ولعل تطور الأحداث في العامين التاليين لتولية توفيق قد أكدت أن توفيق هو رجل انجلترا في مصر، ويكفي أنه كان أداة انجلترا في احتلال مصر في عام ١٨٨٢م.

ويعتبر إبراهيم المويلحي هو ثاني صحفي مصري يهاجر إلى باريس، حيث أصدر بها جريدتين الأولى بإسم (الإتحاد) في عام ١٨٨٠م، ولكن سرعان ما توقفت بعد عدة أعداد، فأصدر بعدها جريدة (الرجاء) ولم تختلف سياسة الجريدة الثانية

عن الجريدة الأولى، وهي سياسة تستهدف الطعن في الدولة العثمانية، ويبدو أن الإختلاف بين الجريدتين لم يكن سوى في الإسم فقط حيث لم يختلف مضمون كل منهما عن الأخرى، وتفسير ذلك في رأينا، هو رغبة المويلحي في تهريب جريدتيه إلى مصر، وغيرها من الولايات العثمانية، فعندما انتبهت السلطات العثمانية إلى جريدة (الإتحاد) غير اسمها إلى (الرجاء) حتى يمكن أن يفلت من الرقابة على الموانىء المصرية والعثمانية تماماً كما كان يفعل يعقوب صنوع عندما غيّرَ من أسماء جريدته حتى يمكنه تهريبها إلى مصر.

وهناك وجه شبه آخر بين المويلحي وصنوع، وذلك في كون كل منهما يعمل في خدمة أمير طامع في كرسي الخديوية في مصر، فإذا كان صنوع يعمل في خدمة الأمير حليم ويريد أن يحقق طموحه في حكم مصر، فإن المويلحي كان يعمل في خدمة إسماعيل باشا خديوي مصر السابق، الذي عزلته تركيا عن كرسي الخديوية بضغط من انجلترا وفرنسا وكان إبراهيم المويلحي قد لحق بإسماعيل باشا في نابولي بإيطاليا بعد عزله في عام ١٨٧٩م وعمل في حاشيته، حيث قام بإصدار عدة صحف للدفاع عن إسماعيل باشا والهجوم على الدولة العثمانية، وكان الخديوي إسماعيل هو الذي ينفق على هذه الصحف [١٢٩].

وحول تقييم تجربة المويلحي الصحفية في باريس نواجه برأيين متعارضين تمام التعارض، الرأي الأول يتبناه كل من فيليب دي طرازي والدكتور عبد اللطيف حمزة، حيث يذكر الدكتور حمزة أن مقالات المويلحي العنيفة التي حوتها جريدتيه في باريس ضد السلطان عبد الحميد الثاني، أزعجت السلطان فبعث إلى سفيره بفرنسا أن يبذل أقصى جهد ليكف المويلحي عن هذا النقد: "طلب السلطان عن طريق سفيره في باريس إلى الحكومة الفرنسية نفي إبراهيم من فرنسا، ولا ندري لماذا بادرت الحكومة الفرنسية بتلبية طلبه" [١٣٠].

ويؤكد فيليب دي طرازي نفس الواقعة فيقول: "سعى سفير تركيا لدى فرنسا في طرده (يقصد المويلحي) من بلادها ففعلت [١٣١]".

أما الرأي الثاني فيتفق عليه كل من لويس صابونجي صاحب جريدة (النحلة) ومحمود زكي صاحب جريدة (الكوكب) وأحمد فؤاد صاحب جريدة (الصاعقة)، إذ

يذكر لويس صابونجي أنه كان موجوداً في باريس وقت أن أصدر المويلحي جريدتيه وأن السفير التركي استشاره في كيفية مواجهة المويلحي: " فأشار على السفير العثماني بأن أفضل وسيلة لبلوغ الغاية المقصودة هي إغراء المويلحي بالمال، فتبع السفير نصيحته، وهكذا توقف إبراهيم المويلحي عن استئناف نشر جريدته".

ويؤكد محمود زكي على الطبيعة الإنتهازية للمويلحي فكتب يقول: "وكل جريدة من جرائد المويلحي بينها وبين بعضها من اختلاف الرأي ما بين الروافض ومن البعد في الفكر ما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى".

ويذكر أحمد فؤاد أن المويلحي كان: "يهاجم تارة دولة الخلافة، وتارة أخرى يمتدحها، وتارة يذكر مناقب السلطان وتارة أخرى يعدد مثالبه".

ويبدو أن الرأي الثاني في إبراهيم المويلحي قد تأثر بالتغيير الذي طرأ على موقف المويلحي بعد أن غادر باريس منفياً منها حيث ذهب إلى لندن، وقضى بها فترة ثم عاد إلى باريس مرة أخرى في عام ١٨٨٤م ويقال أنه شارك في تحرير (العروة الوثقى) مع الأفغاني ومحمد عبده، ولكن الشيء المؤكد أنه أصدر في هذه المرة من باريس جريدتين أخرتين، الأولى باسم (الأنباء) والثانية باسم (عين زبيدة) وفي هذه المرة "اندفع إبراهيم المويلحي اندفاعاً ظاهراً إذ ذاك في إظهار ولائه للسلطان عبد الحميد وحين وصلت الأخبار إلى مسامع السلطان سر لها سروراً عظيماً وأظهر الرضا عن خطة إبراهيم في نقده الشديد للسياسة الانجليزية، ومن ثم فكر السلطان في استدعاء المويلحي إلى الآستانة، ولكن المويلحي ارتاب أولاً في هذه الدعوة ورأى أن يبعث بابنه محمد لكي يكشف له عن جلية الأمر، فذهب محمد إلى الآستانة وتبين له أن السلطان صادق في هذه الدعوة التي وجهها إلى أبيه، فكتب إليه يطمئنه على ذلك ويعجل حضوره[١٣٢]".

وقد ذهب المويلحي إلى العاصمة التركية، وأحسن السلطان استقباله وعينه عضواً في (مجلس المعارف) ومكث بالآستانة عشر سنوات كاملة ظل خلالها مؤيداً للسلطان، مادحاً له، ومدافعاً عن سياسته.

أما ثالث صحفي مصري يهاجر إلى باريس، فهو الشيخ محمد عبده الذي شارك السيد جمال الدين الأفغاني في إصدار صحيفة (العروة الوثقى) بباريس في

١٣ مارس ١٨٨٤م وكانت تهدف إلى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ومكافحة التسلط الأجنبي على البلاد الإسلامية ومقاومة الطغيان الداخلي والحكم الإستبدادي في الشرق الإسلامي.

وكانت الجريدة تُرسل إلى كبار العلماء والأمراء والزعماء في جميع الأقطار الإسلامية، ولكن السياسة الإنجليزية حالت دون وصول الصحيفة لعدد من البلاد الإسلامية وخاصة مصر لدرجة أن الحكومة المصرية أعلنت "أن كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم مبلغاً من خمسة جنيهات مصرية إلى خمسة وعشرين جنيهاً وهي غرامة جسيمة ربما دعا إليها عسر المالية المصرية ببركة تصرف الانجليز في مصر[١٣٣]".

وأضافت العروة الوثقى في تعليقها على هذا القرار قائلة: "لا يحزنن أهل الحق القائمون بأمر هذه الجريدة على ما صدر عن الحكومة المصرية من منع العروة الوثقى من دخول القطر المصري وليعلموا أن الحكومة المصرية لا دخل لها في هذا المنع فإنها حكومة شرقية لا تسمح لها غيرتها بمنع جريدة لاشيء فيها سوى الدفاع عن الشرقيين، وإنما منشأها حكومة انجلترا وشأنها معلوم عند كل عارف بأحوالها[١٣٤]".

ولم تعمر العروة الوثقى كثيراً، إذ لم يصدر منها سوى ثمانية عشر عدداً، كان آخرها العدد الصادر في ١٦ أكتوبر ١٨٨٤م، أي لم تعش الجريدة سوى ستة أشهر وثلاثة أيام.

وقد صدرت الصحيفة في البداية أسبوعية ثم أصبحت تصدر مرتين في الشهر، وكانت توزع مجاناً، وكان يدير سياستها جمال الدين الأفغاني، أما محررها الأول فهو الشيخ محمد عبده، وقد شارك في تحريرها الميرزا باقر ورغم العمر القصير للصحيفة، إلا أنها اكتسبت نفوذاً كبيراً في العالم العربي والإسلامي، وقد أشاد بها العديد من كبار المفكرين والكتاب والسياسيين العرب والمسلمين الذين عاصروا إصدارها، ويعود إلى الجريدة الفضل في جانب كثير من اليقظة الإسلامية في العصر الحديث.

وإنه من المفيد أن نتساءل عن السبب الذي جعل العروة الوثقى تصدر من

باريس وليس من أي عاصمة أخرى في أوروبا، وتبرز في المقدمة حقيقة أنه كان لفرنسا مصلحة في صدور هذه الصحيفة التي كان هدفها الرئيسي، الهجوم على الإستعمار البريطاني لمصر وباقي البلاد العربية والإسلامية. ولكن هل معنى ذلك أن العروة الوثقى كانت تعمل في خدمة السياسة الفرنسية في الشرق؟

إن استعراض أغلب ما كتب في الجريدة لا يكشف عن دعوة صريحة للنفوذ الفرنسي، إلا أن هجوم الجريدة على النفوذ البريطاني في الشرق يعتبر بشكل غير مباشر خدمة للسياسة الفرنسية، والحقيقة السابقة تثير سؤالاً آخر، من الذي كان يمول العروة الوثقى؟

من المؤكد أنه رغم صدور الجريدة من العاصمة الفرنسية، إلا أنه لا يوجد حتى الآن ما يثبت أن الحكومة الفرنسية كانت تدفع شيئاً للجريدة سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، فالجريدة تخلو من الإعلان، ولا يوجد من الوثائق ما يؤكد أن الحكومة الفرنسية كانت تشتري نسخاً من الجريدة، وإن كانت تساعد في توزيعها وتهريبها إلى أقطار العالم العربي والإسلامي فالجريدة كانت تمول عن طريق (جمعية العروة الوثقى) وهي جمعية أنشأها جمال الدين الأفغاني، وكانت تنتشر في العديد من الأقطار العربية والإسلامية، وكانت امتداداً للمحفل الشرقي الماسوني، الذي سبق وكونه الأفغاني في مصر أثناء إقامته بها (١٨٧١ - ١٨٧٩م) والذي لعب دوراً كبيراً في عزل الخديوي إسماعيل.

وقد كان اختيار إسماعيل باشا خديوي مصر المعزول لمدينة نابولي بإيطاليا كمنفى له، هو الذي جعل إيطاليا من بين الدول الأوروبية التي شهدت صحفاً مصرية مهاجرة في فترة مبكرة من هذه الهجرة، ففي نابولي أصدر إبراهيم المويلحي أولى جرائده في المهجر، وهي جريدة (الخلافة) التي ظهرت في نهاية عام ١٨٧٩م، أي بعد فترة قليلة من نفي إسماعيل باشا، وبذلك تعتبر جريدة (الخلافة) هي ثاني صحيفة مصرية مهاجرة بعد جريدة (أبو نظارة زرقا) ليعقوب صنوع التي أصدرها في باريس في بداية عام ١٨٧٩م.

وكانت (الخلافة) تصدر أسبوعياً وباللغتين العربية والتركية، وقد تبلورت سياسة الصحيفة في هدفين، الأول: الدفاع عن تصرفات الخديوي إسماعيل أثناء توليه حكم

مصر، ومن ثم المطالبة بعودته إلى عرشه الذي سلب منه [١٣٥].

أما الهدف الثاني فهو الطعن في الدولة العثمانية والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني لدوره في عزل إسماعيل وخضوعه للضغط الإنجليزي الفرنسي [١٣٦].

ولعل ذلك هو الذي يفسر سبب اختيار الخديوي اسماعيل لإيطاليا كمنفى له، وبالتالي اختيار المويلحي لإيطاليا كمكان يصدر منه جريدته، إذ لم يكن منطقياً أن يتجه الخديوي إسماعيل إلى تركيا أو انجلترا أو فرنسا، لكون هذه الدول شاركت في مؤامرة عزله عن عرشه، في حين لم يكن لإيطاليا أي دور يذكر في هذا الأمر.

وترجع أهمية جريدة (الخلافة) لكونها أول جريدة عربية دعت في وقت مبكر إلى ضرورة أن تكون الخلافة في العرب بدلاً من الأتراك، بل لقد وصل الأمر أن كتب المويلحي أن خديوي مصر أحق بمنصب الخلافة من سلطان تركيا [١٣٧] باعتبار أن مصر كانت مقراً للخلافة فترة طويلة، حتى دخول العثمانيين إلى مصر في عام ١٥١٦م.

ويبدو أن صدور (الخلافة) من إيطاليا قد قلل من التأثير الذي توقعه الخديوي إسماعيل لها، لذلك أوعز إلى المويلحي بالسفر إلى باريس، و محاولة الإستفادة من التنافس الفرنسي البريطاني والعمل على كسب التأييد الفرنسي لمحاولات إسماعيل باشا للعودة إلى مصر، ولكن المحاولة لم تنجح، فلم تستمر الجريدتان اللتان أصدرهما المويلحي في باريس عام ١٨٨٠م إلا لفترة قصيرة، انتهت بقرار الحكومة الفرنسية بطرد المويلحي من باريس.

ولا تتوفر لدينا أية معلومات عن صحف مصرية أخرى صدرت بعد توقف الخلافة بما يقرب من ثلاثين عاماً وهي جريدة (السياسة المصورة) التي أصدرها في أول ديسمبر ١٩٠٨م عبد الحميد زكي في مدينة بولونيا بإيطاليا، ولكنها لم تستمر طويلاً فقد توقفت في نفس العام، ولم يكن لها تأثير يذكر.

وهاجر علي الغاياتي [١٣٨] إلى تركيا فراراً من ملاحقة السلطات البريطانية له في مصر بعد مصادرتها لديوانه (وطنيتي)، وقد تولى تحرير جريدة (دار الخلافة) التي أصدرها عبد الوهاب عبد الصمد في ٢ مارس ١٩١٠م، وكانت سياستها عثمانية تدافع عن حقوق مصر وتطالب باستقلالها في ظل الولاء للخلافة العثمانية،

وهو نفس الخط الفكري للحزب الوطني المصري.

كذلك فقد هاجر إلى تركيا الشيخ عبد العزيز جاويش، حيث أصدر صحيفتين الأولى باسم (الهلال العثماني) في ١٦ مارس ١٩١٢م ثم أصدر في ٤ مايو ١٩١٦م مجلة باسم (العالم الإسلامي) ولم تختلف سياسة المجلة عن سياسة الجريدة في الدفاع عن الخلافة العثمانية والهجوم على الإحتلال البريطاني لمصر.

ومن سويسرا صدرت صحيفتان مصريتان، الأولى هي (القصاص) التي صدرت في يونيو ١٩١٨م بمدينة جنيف، وأصدرتها جماعة تسمى (الجمعية الوطنية المصرية) وكانت تضم في عضويتها عدداً من رجالات الحزب الوطني الذين هربوا من مصر قبيل الحرب العالمية الأولى بعد أن بدأت مطاردة سلطات الإحتلال البريطاني للعناصر النشطة من أعضاء الحزب الوطني تمهيداً لدخولها الحرب [١٣٩]

وفي العاصمة الألمانية برلين استقر عدد آخر من أعضاء الحزب الوطني الهاربين من الإضطهاد الانجليزي في مصر، وأصدروا خلال فترة الحرب العالمية الأولى ثلاث صحف من خلال ما سمي (الجمعية المصرية في برلين) والصحف الثلاث هي جريدة (العالم الإسلامي) ومجلة (الجهاد) ثم مجلة (الشرق الجديد) وكانت الصحف الثلاث تعبر عن أفكار الحزب الوطني في المطالبة بالجلاء واستقلال مصر، وقد كتب فيها عدد كبير من زعماء الحزب الوطني مثل محمد فريد وعلي فهمي كامل (شقيق مصطفى كامل) وعبد العزيز جاويش وعلي الغاياتي وغيرهم من قادة الحزب الوطني الذين كانوا يعيشون في أوروبا في ذلك الوقت.

وفي عام ١٩٢٣م أنشأ محمد صبحي أبو غنيمة في برلين مجلة سماها (الحمامة) ولكنها توقفت بعد عدة أعداد، ولا توجد معلومات متوافرة عن المجلة أو عن صاحبها تسمح بإلقاء الضوء على سياستها.

وقد توقفت أغلب الصحف التي أصدرها قادة الحزب الوطني في أوروبا بعد إعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م ثم إعلان دستور ١٩٢٤م وبدء الحياة النيابية في مصر وعودة نشاط الحزب الوطني في البلاد وإعادة إصدار صحفه فلم يعد هناك مبرراً لهجرة هذه الصحف.

ثامناً: الصحافة السعودية المهاجرة

لم تعرف الصحافة السعودية منذ نشأتها في عام ١٩٠٨م وحتى اليوم الهجرة الداخلية إلا مرتين، وفي المرتين كانت الهجرة إلى مصر.

وفي المرة الأولى أصدر الكاتب السعودي فؤاد شاكر جريدة سماها (الحرم) وظهر عددها الأول في ٤ ديسمبر ١٩٣٠م بمدينة القاهرة، وكانت أسبوعية وأعلنت في صدر صفحتها الأولى أنها جريدة أدبية إجتماعية مصورة، واستمرت الجريدة أربع سنوات، كان آخرها العدد الصادر في أول فبراير ١٩٣٤م.

وكشف فؤاد شاكر في افتتاحية العدد الأول عن سياسة الجريدة حيث كتب يقول:

"أرجو الله أن يوفقني فيما قصدت إليه من غرض نبيل وقصد سام شريف من إنشاء هذه الصحيفة ووقفها على صداقة بلد وشعب وطني وعشيرتي وهما أكرم الشعوب والبلاد على الله" [١٤٠] وأضاف:

"أيها الشعب السعودي النبيل هذه صحيفتك الناصعة وهي الأولى في نوعها في تاريخ بلادك فانزلها من نفسك المكان الذي تراه جديرا لها".[١٤١]

والواضح أن صدور الجريدة بالقاهرة، لم يكن وراءه أي سبب سياسي، بدليل أن الجريدة خصصت صفحاتها للدفاع عن المواقف والسياسات السعودية بحيث اعتبرت الجريدة نفسها لسان حال البلاد السعودية في مصر بالإ ضافة إلى مشاركة عدد كبير من الكتاب السعوديين في الكتابة بالجريدة، ولو كانت الجريدة على خلاف مع الحكومة السعودية لما قبل أحد منهم أن يكتب فيها، حيث أن أكثرهم من المقيمين بالسعودية.

لذلك يمكن تفهم الرأي القائل بأن سبب صدور (الحرم) خارج البلاد السعودية هو عدم توفر الإمكانيات الطباعية المناسبة في السعودية في ذلك الوقت، ولاسيما وأنها جريدة أسبوعية ومصورة.[١٤٢]

ونحن نميل إلى القول بأن السبب الطباعي أو الفني لايكفي وحده لتفسير هذه

الهجرة وخاصة أن المملكة العربية السعودية قد شهدت خلال هذه الفترة وما قبلها صحفا لا تقل جودة في طباعتها ولا في مستوى الصور المنشورة بها عما رأيناه في جريدة (الحرم) لذلك نعتقد أن (الحرم) صدرت من القاهرة بهدف الإعلام عن سياسة الحكومة السعودية وإبراز إنجازاتها، ولإيصال صوت الحكومة السعودية إلى الشعب المصري وغيره من الشعوب العربية، وخاصة أن مصر كانت تعتبر في هذه الفترة مركز الثقل الرئيسي في العالم العربي، ليس في النواحي السياسية فقط وإنما أيضا في النواحي الفكرية والثقافية والأدبية.

ومما يؤكد رأينا هذا قول عثمان حافظ مؤلف أهم مرجع عن تاريخ الصحافة السعودية: "وقد صدرت الحرم بمصر ولكنها كانت تنطق باسم هذه البلاد السعودية، وتتحدث عن أخبارها وتحرر بأقلام أدبائها".[١٤٣]

وقد ساعد على إصدار صحيفة (الحرم) بمصر، توفر مناخ ديموقراطي، لم يكن له شبيه في أي بلد عربي آخر، وقد كان هذا المناخ الديموقراطي يسمح دائماً للعديد من كتاب الجزيرة العربية بمراسلة الصحف المصرية وللكتابة فيها، في العهد السعودي، أو قبله في العهدين الهاشمي والتركي.

ومما يؤكد هذه الحقيقة مقال نشرته (القبلة) التي كانت تصدر بمكة المكرمة أثناء العهد الهاشمي، وهو يكشف عن رؤية الكتاب الصحفيون في الجزيرة العربية للإوضاع في مصر بالمقارنة بالأوضاع التي كانت تسود تركيا وبلاد الشام في ذلك الوقت، ويقول كاتب المقال:

"زرعت عوامل الجهل وبواعث الشر بنفس شابين مصريين قبل أكثر من سنة، فألقيا قنبلة على موكب سلطان مصر وهو مار في أحد شوارع الأسكندرية، فطاشت الرمية وتمكن البوليس من القبض على الجانيين وسلمهما إلى المحكمة فظلت مقدار سنة أو أقل من ذلك بقليل تحاكمهما وتحقق معهما وتدقق في كل ما فيه احتمال تخفيف جنايتهما، وكانت محاكمتهما علنية بحيث تغص قاعة المحكمة بأناس على رحبها ساعات المحاكمة، ويدافع عنهما أشهر المحامين في تلك البلاد والجرائد تنشر كل كلمة تقال في المحكمة لهما وعليهما، إلى أن قنع وجدان المحكمة بالحكم عليهما بالإعدام وفوض إلى الحكومة إبدال حكم الإعدام بحكم آخر. وقد

حدث ذلك في وقت كانت فيه أخبار الشام تصل إلى مصر في كل أسبوع عن شنق العشرات من علماء المسلمين وأفاضلهم ومخلصيهم بدون محاكمة يطلع عليها الناس، بل إنتقاما وحقدا وضغينة.

ومن العجب أنه في يوم صدور أمر سلطان مصر باسقاط حكم الإعدام على الذين ألقيا القنبلة عليه، وصلت إلى مصر أخبار شنق الأمير الشهابي وعبد الغني العريسي وسليم الجزائري وشفيق المؤيد وشكري العسلي وسيف الدين الخطيب وغيرهم، فجاشت بواعث الشعر في نفس عالم من أكبر العائلات الإسلامية في دمشق فقال:

كم بين من يصفح عمن جنى ... وبين من يجن على الأبرياء
يغفر في (مصر) التجنى على ... مليكها والعفو نعم الجزاء
ويقتل البريء في (دمشق) ... وحولها على الولاء والوفاء
فلو رأي (هولاكو) أعمالهم ... أو لو رأى (تيمور) هذا البلاء
لادعيا العدل بما أسلفا ... أجل هما من مثل هذا براء[111]

أما الصحيفة السعودية الثانية التي صدرت بمصر فهي (صرخة العرب) التي أنشأها الكاتب السعودي (أحمد عبيد) في يناير ١٩٥٥ بالقاهرة كمجلة سياسية جامعة مصورة، وأعلنت الصحيفة أنها ستصدر شهريا مؤقتا وإن ظلت شهريا حتى توقفت بعد العدد العاشر الذي صدر بتاريخ نوفمبر ١٩٥٥م.

وقد اكتفى أحمد عبيد بتولي منصب المدير العام للمجلة، في حين ترك رئاسة التحرير لصحفي مصري هو اسماعيل الحبروك. في حين تولي الأديب المصري ثروت أباظة منصب مدير التحرير، ولكن أباظة ترك منصبه بعد فترة قصيرة وحل محله الصحفي المصري محمد كامل حتة.

أما سياسة المجلة، فقد كانت عربية إسلامية فهي "تعني بخدمة القضايا العربية والإسلامية وتدعو إلى جمع كلمة العرب والمسلمين واتحادهم في تضامن شامل يجعل منهم قوة ثالثة تدافع عن كيان المسلمين وتعيد إليهم أرضهم المغتصبة

وتراثهم المجيد".[١٤٥]

فالغرض من إصدارها بالقاهرة: "هو إسماع صوت البلاد السعودية للخارج، وفكرة إصدارها في القاهرة هو تجسيد لوجود الصحافة السعودية في المجال العربي والعالمي".[١٤٦]

وبذلك يتوافق هدف مجلة (صرخة العرب) مع الهدف الذي صدرت من أجله جريدة (الحرم) رغم اختلاف الفترة الزمنية التي صدرت فيها كل منهما، فقد كانا أداة لشرح السياسة السعودية في الخارج ووسيلة لإسماع صوتها في العالمين العربي والإسلامي.

تاسعاً: الطابع العام للصحافة العربية المهاجرة

باستعراض الهجرة الأولى للصحافة العربية، والتي تمتد منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين، يمكن أن نخرج بالملاحظات التالية:

أولاً: إن الهجرة الأولى للصحافة العربية تكاد أن تقتصر على الصحافة الشامية والمصرية، وفي حين اتخذت هجرة الصحافة اللبنانية شكل الهجرة الداخلية إلى مصر والهجرة الخارجية إلى أوربا، إلا أن الصحافة المصرية لم تعرف سوى الهجرة الخارجية إلى أوربا، ولعل السبب في ذلك هو افتقاد غالبية الأقطار العربية في ذلك الوقت إلى المناخ الديموقراطي الذي يسمح باستقبال هذه الصحف المهاجرة.

ثانياً: غلبة الطابع السياسي على هذه الهجرة، لذلك لم تقتصر الهجرة على الصحف والصحفيين وحدهم، وإنما شملت عدداً كبيراً من السياسيين العرب، الذين اختاروا إصدار الصحف المهاجرة، أسلوباً لمعارضة السلطة الحاكمة في بلادهم، أو أداة لمقاومة النفوذ أو الإستعمار الأجنبي في تلك البلدان.

ثالثاً: لقد تركزت الصحافة الشامية المهاجرة في لندن وباريس، في حين أن الصحافة المصرية المهاجرة، قد شملت بالإضافة إلى لندن وباريس، إيطاليا وألمانيا، فقد اتجه الصحفيون الموالون للخديوي اسماعيل إلى ايطاليا حيث يعيش الخديوي بعد نفيه ولاستحالة إصدار صحفهم في لندن أو باريس اللتان شاركتا في عزل الخديوي، كذلك فقد اتجه قادة الحزب الوطني المصري وصحفيوه إلى ألمانيا، حيث كان من المستحيل أن يذهبوا إلى انجلترا التي تحتل بلادهم، أو إلى فرنسا التي اعترفت باحتلال انجلترا لمصر بعد الإتفاق الودي بين الدولتين العظميين في عام ١٩٠٦م واتفاقهما على تقسيم العالم العربي بينهما.

رابعـــاً: لقد عاصرت الهجرة الأولى للصحافة العربية تزايد الأطماع الإستعمارية الأوربية في الوطن العربي، وهو الأمر الذي حول بعض الصحف العربية المهاجرة إلى أدوات في خدمة بعض الدول الإستعمارية الطامعة في امتلاك أجزاء من الوطن العربي، وهو مايثير بعض التساؤلات حول قيام هذه الدول بتمويل العديد من الصحف العربية المهاجرة التي ظهرت في تلك الفترة.

خامسـاً: رغم أن الإستبداد التركي العثماني، كان العامل الرئيسي في هجرة الصحف والصحفيين الشوام إلى مصر وأوربا، إلا أن ذلك لا ينفي أن العديد من هذه الصحف، والكثير من أولئك الصحفيين، قد تحولوا إلى أدوات في خدمة الدولة العثمانية، سواء خوفا من العقاب، أو انتظارا للثواب، ولعل هذه الفترة قد وضعت البذرة الأولى لمرض الإنتهازية الصحفية. والتبدل المفاجيء في مواقف الصحفيين وانتقالهم من الهجوم الشديد إلى الدفاع المتحمس عن الشيء نفسه، وهو مرض مازالت تعاني منه الصحافة العربية المهاجرة حتى اليوم.

هوامش الفصل الأول

(١) أورد حسن كامل الموجي (دور الشاميين في الصحافة المصرية ١٨٤١-١٩٠٠ وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص١-٧) غالبية آراء أصحاب هذا الإتجاه والتي يمكن بلورتها في القول بأن صورة الشامي كانت دائما عند الشعوب الأخرى، هي صورة الإنسان الذي ضاقت به أرضه فراح يذلل الأرض والبحر في سبيل مطامعه ونشر رسالته، فكأن الله خص سكان هذه البقعة من الأرض بالنشاط وحب التنقل، وهذه الصفة تجسدت في الفينيقيين دون سواهم من الشعوب القديمة (أنيس نصر- النبوغ اللبناني في القرن العشرين-مكتبة العام الجديد-حلب ١٩٣٨ ص١٤) وأن الهجرة عند الشوام سنة مشروعة يتواصون بها في محافلهم الأدبية والإجتماعية ويتفاخرون بها في أدبهم وأشعارهم (حلمي مرزوق -تطورالنقد والتفكيرالأدبي في مصرفي الربع الأول من القرن العشرين - دارالمعارف الإسكندرية ١٩٦٦ ص٣٩) فاذا أتم السوري دروسه، وأتقن تجارته ولم يتعاط عملا يقعده عن السفر يجعل ديدنة الإقلاع عما هو فيه والسعي وراء ما يكفيه مؤنة الخمول فيقدح زناد الفكرة في الجهة التي يختارها لسيره (جورجي زيدان/مجلة الهلال/ إبريل ١٩١٣) فالشاميين منذ القدم تواقون إلى الهجرة، وتلك طبيعة متأصلة في نفوسهم.

(٢) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤) (مكتبة الأنجلو المصرية) القاهرة - ١٩٥٥ ص ٢٦٤.

(٣) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية (المطبعة الأدبية) بيروت الجزء الثاني ١٩١٣ - ص٧، ٨.

(٤) عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره (دار الفكرالعربي) الجزء الأول. الطبعة الأولى - القاهرة - ص٢٥.

(٥) المؤيد: ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠م، ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٠٠م، ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٠٠م، ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٠م، ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠م، ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٠م، ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٠٠م، ١٣ يناير ١٩٠١م.

(٦) مجلة المنار: القاهرة - المجلد ٢١ - إبريل سنة ١٩٢٠ ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٧) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤) ص ١١٥.
ولوثروب ستورداد: حاضر الإسلام - ترجمة عجاج نويهض، وتعليق الأمير شكيب أرسلان (مكتبة عيسى البابلي الحلبي) المجلد الثاني - القاهرة - ١٣٠٢هـ - ص ٢٩١.

(٨) قبل ظهور الوقائع المصرية، أصدر رجال الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) صحيفتان وهما

صحيفة كورييه ديلچبت	Corrier de l'Egypt
ومجلة لاديكا داچبسين	La Decade Egyptienne

وكانتا تصدران بالفرنسية ليقرأهما جنود الحملة بمصر، وقد توقفتا عن الصدور بعد انسحاب الحملة من مصر.

(٩) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية - الجزء الثاني (المطبعة الأدبية) بيروت ١٩١٣ - ص٧.

(١٠) أديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها (منشورات مكتبة الحياة) بيروت الطبعة الأولى ١٩٦١ - ص ٢٢٨.

(١١) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية - الجزء الأول - ص ٥٥.

ورزق الله حسون من مواليد مدينة حلب السورية في عام ١٨٢٥م وقد درس العلوم الرياضية واللغات وتخصص في الترجمة وعمل بالقنصلية النمساوية بحلب ثم قام بسياحة طويلة في أوربا وزار لندن وباريس. ثم اتجه إلى الآستانة حيث أصدر جريدته (مرآة الأحوال) وبعد إغلاقها فر إلى روسيا وقضى بها فترة، ثم ذهب إلى لندن، حيث أعاد إصدار جريدة "مرآة الأحوال" مرة أخرى، وفي لندن أصدر مجلتين الأولى باسم رجوم وغساق إلى فارس الشدياق" في عام ١٨٦٨ والثانية باسم "المسألتين الشرقية والمصرية" في عام ١٩٧٩، ولذلك تعتبر جريدة (مرآة الأحوال) أول جريدة عربية مهاجرة ويعتبر رزق الله حسون أول من هاجر من الصحفيين العرب.

(١٢) أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥-١٨٨٧) لبناني من خريجي مدرسة عين ورقة، والتحق بخدمة الأمير حيدر الشهابي وعندما اضطهد الأكليروس الماروني شقيقه أسعد الشدياق ترك الكنيسة المارونية وتحول إلى المذهب الإنجيلي في عام ١٨٦٥، وأعجب المرسلون الأميركيون به فأوفدوه إلى مصر لدراسة الآداب وعلوم اللغة ويقال أنه شارك في تحرير (الوقائع المصرية) ثم أرسلوه إلى مالطة للتدريس في مدرسة الإرسالية وتحرير منشورات المطبعة الأميركية هناك حتى ١٨٤٨م، ثم طاف أوربا واستقر فترة في لندن وفي عام ١٨٥٤دعاه باي تونس إلى خدمته، وهناك اعتنق الإسلام وسمى نفسه أحمد فارس

(١٣) كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث (دارالنهار للنشر) بيروت ١٩٦٩ ص ٢٤٣- ٢٢٤.

(١٤) جبرائيل دلال من مواليد حلب في عام ١٨٣٩ وقد تلقى تعليما دينيا ومدنيا وفي عام ١٨٢٨ سافر إلى أوربا واستقر بباريس حيث قام بتحرير جريدة (الصدى) وفي باريس تعرف بخير الدين باشا وكان وقتها وزيرا لباي تونس، فلما عين خير الدين باشا صدرا أعظم للدولة العثمانية استدعى جبرائيل دلال إلى الآستانة وكلفه بإصدار جريدة (السلام).

(١٥) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي - ص ٢٣٨.

(١٦) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي - ترجمة عجاج نويهض تعليق الأمير شكيب أرسلان، (مكتبة ومطبعة عيسى البابلي الحلبي) - القاهرة - المجلد الثاني ١٣٠٢هـ ص ٢٩٠-٢٩٤.

(١٧) محمد المخزومي من مواليد بيروت، وقد بدأ حياته الصحفية في مصر عام ١٨٨٨م عندما أصدر مجلة (الرياض المصرية) ثم انتقل إلى الآستانة حيث أصدر جريدة (البيان) التي عطلت لأفكارها التحررية، ثم أصدر (المساواة) والتي كان مصيرها كسابقتها، فاضطر إلى العودة إلى مصر.

(١٨) شفيق بك المؤيد. كان ينتمي إلى إحدى العائلات الكبيرة بدمشق، وكان عضوا في مجلس المبعوثان العثماني، وكان أحد المرشحين من قبل الحركة القومية العربية لتولي (الخلافة العربية) في حال استقلال العرب عن تركيا، قد أعدمه الأتراك شنقا في ١٦ مايو ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى.

(١٩) عبد الحميد الزهراوي: سوري من دمشق، وكان من قادة الحركة القومية العربية بالشام وقد ترأس المؤتمر العربي الأول الذي عقد في عام ١٩١٢م بباريس والذي طالب باستقلال بلاد الشام عن الدولة التركية، ويعود إليه الفضل في تشكيل المنظمات القومية العربية في أوربا وبلاد الشام. وقد أعدمه الأتراك شنقا أثناء الحرب العالمية الأولى بدمشق.

(٢٠) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثاني، ص ٧.

(٢١) رشيد الدحداح ١٨١٣٠-١٨٨٩) وهو لبناني عمل كاتما لأسرار الأمير بشير الكبير حاكم لبنان، ثم هاجر إلى باريس بعد خلع الأمير بشير.

(٢٢) عطارد - باريس ٣٠ يونيو ١٨٥٩م.

(٢٣) المشتري - باريس ١٥ نوفمبر ١٨٦٧م.

(٢٤) الصدى - باريس -٣٠ أغسطس ١٨٧٧م.

(٢٥) المؤيد - ٣٠ مارس ١٨٩٨ مقال بعنوان (صحف عربية في باريس الزاهرة).

(٢٦) ولد أديب اسحق بدمشق عام ١٨٥٦م، ثم انتقل إلى بيروت واشتغل بالكتابة في جريدة (التقدم) وترجم رواية (اندروماك) لراسين ثم سافر إلى الإسكندرية وفيها ترجم رواية (شرلمان) ثم انتقل إلى القاهرة واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني الذي أوحى إليه بإنشاء جريدة (مصر) فقام بإصدارها في عام ١٨٧٧م، وبعد فترة نقل مقر الجريدة من القاهرة إلى الإسكندرية وأعاد إصدارها بالإشتراك مع سليم النقاش، ثم شارك سليم النقاش في إصدار (جريدة التجارة) وقد استمرت الجريدتان في الصدور حتى أغلقتا بعد عزل الخديوي اسماعيل وتولية الخديوي توفيق وانقلابه على الحركة الوطنية وطرده للأفغاني من مصر، فسافر أديب اسحق إلى باريس حيث أصدر جريدة (مصر القاهرة).

(٢٧) محمد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام (مطبعة المنار) القاهرة - ١٩٣٢ ص ٤٦.

(٢٨) مصر القاهرة - ديسمبر ١٨٧٩.

(٢٩) نفس المصدر.

(٣٠) عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني دار الفكر، القاهرة، ص ١٩-٢٤.

(٣١) خليل غانم صحفي لبناني (١٨٤٦-١٩٠٣) من مواليد بيروت، عمل بالسياسة وانتخب في عام ١٨٧٧ عضوا في مجلس المبعوثان العثماني، كانت له علاقة قوية بمدحت باشا زعيم الأحرار في تركيا وقد شارك معه في وضع الدستور العثماني وعندما نفي مدحت باشا، اعترض خليل غانم وهاجم في مجلس المبعوثان السلطان عبد الحميد الثاني وله في ذلك كلمة مشهورة وهي: منذ شاء السلطان أن يمنح الدستور فلا يحق له الرجوع عما صادق عليه، والسلطان تحت الدستور لا فوقه فصدر الأمر بالقبض عليه وإعدامه، ففر إلى فرنسا عن طريق إحدى البوارج الفرنسية، واستقر في باريس حيث أصدر جريدة (البصير) وقد

توفي في باريس عام ١٩٠٣م.

(٣٢) البصير - ٢١ إبريل ١٨٨١.

(٣٣) **فيليب طرازي**: تاريخ الصحافة العربية - الجزء الأول - ص ١٢٧.

(٣٤) كشف النقاب - ٩أغسطس ١٨٩٤م.

(٣٥) آل سام. أول أغسطس ١٨٧٢.

(٣٦) يلاحظ أن الهجرة إلى لندن ومن قبلها إلى باريس قد غلب عليها هجرة الصحفيين الشوام لا هجرة الصحف الشامية.

(٣٧) **لويس شيخو**: الآداب العربية في القرن التاسع عشر - ص ١١٧.

(٣٨) **فيليب طرازي**: تاريخ الصحافة العربية - الجزء الأول - ص ١٠٨-١٠٩.

(٣٩) النحلة - إبريل ١٨٧٧ وديسمبر ١٨٧٨، ومارس ١٨٧٩.

(٤٠) الخلافة - يناير ١٨٨١.

(٤١) الغيرة - ١٠ فبراير ١٨٨١م.

(٤٢) الإتحاد العربي - نوفمبر ١٨٨١م.

(٤٣) النحلة - ٢٦ إبريل ١٨٨٤.

(٤٤) المستقبل - ٢٨ مارس ١٨٨٠.

(٤٥) الخلافة - ١٥ يناير ١٨٩٤.

(٤٦) **عبد العليم القباني**: نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) القاهرة - ١٩٧٣ - ص ٤٣.

(٤٧) **عبد الرحمن الرافعي**: عصر اسماعيل - الجزء الثاني (مطبعة النهضة المصرية) القاهرة ص ١٥٦-١٥٧.

(٤٨) **ابراهيم عامر**: الأرض والفلاح، المسألة الزراعية في مصر (مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع) القاهرة ١٩٥٨ ص ٧٦.

(٤٩) **ابراهيم عامر**: ثورة مصر القومية (دار النديم) القاهرة ١٩٥٧ص ٤٣.

(٥٠) **محمد أنيس والسيد رجب حراز**: التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث (دار النهضة العربية) القاهرة -ص ١٢٠.

(٥١) **أمين مصطفي عفيفي**: تاريخ مصر الإقتصادي والمالي في العصور الحديثة، الطبعة الثانية - ١٩٥٣ - ص ٣٦. وصبحي وحيدة: في أصول المسألة المصرية (مطبعة مصر) القاهرة ١٩٥٠، ص ١٣٢، ١٧٦، ٢٠٢.

(٥٢) **محمد أنيس والسيد رجب حراز**: التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث، ص ١٢١، ١٢٢.

(٥٣) **عبد اللطيف حمزة**: أدب المقالة الصحفية - الجزء الأول - الطبعة الثالثة (دار الفكر العربي) القاهرة ١٩٦٤، ص ١٠٨، ١٢٩.

وابراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية - الطبعة الأولى (مطبعة التوكل) القاهرة ص٧٦.

(٥٤) يرسم يعقوب صنوع صورة ساخرة لأول اجتماع لأعضاء مجلس شورى النواب فيقول:

"ثم أنه صار إرسالهم إلى مصر وبعده اجتمعوا في المجلس الذي صار إحضارهم لأجله، وكان الموكل بتدريبهم راغب باشا، فأراد أن يرتبهم كمجالس أوربا في جعلهم صفين، صف اليمين وهو الذي يجيب عن الحكومة ويذب عن حقوقها وصف الشمال وهو الذي يعترض على الحكومة يسألها عن حقوق الرعية وكان الأعضاء جالسين في المجلس من غير ترتيب، فلما علموا الكيفية أسرعوا في القيام من أماكنهم وتزاحموا على الجلوس في اليمين حتى أضروا ببعضهم بعضا" (أبو نظارة زرقا - ١٣ يناير ١٨٧٨).

(٥٥) محمد خليل صبحي: تاريخ الحياة النيابية في مصر - الجزء الخامس (مطبعة دار الكتب) القاهرة ١٩٣٩، ص ٩٩، ١٠٦.

(٥٦) عبد الرحمن الرافعي: الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزي - القاهرة (مكتبة النهضة) ١٩٤٩، ص ١٩.

(٥٧) مصر - ٣١ يوليو ١٨٧٩ مقال بعنوان (آثار الإستبداد في الدول الشرقية عموما والدولة العثمانية خصوصا).

(٥٨) مصر - ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧٩، مقال بعنوان (مستقبل الشرق).

(٥٩) المصدر السابق.

(٦٠) التجارة، ١١ سبتمبر ١٨٧٩، مقال بعنوان (الإستبداد في الشرق).

(٦١) المصدر السابق.

(٦٢) مرآة الشرق، أول مايو ١٨٧٩، مقال بعنوان (الحرية الحقيقية).

(٦٣) المصدر السابق.

(٦٤) التجارة، ٢٢ أغسطس، مقال بعنوان (الحرية والإستبداد).

(٦٥) الأهرام - ١٨ يوليو ١٨٧٩ مقال بعنوان (نحن والدستور).

(٦٦) لقد صدر العدد الأول من مجلة (النحلة) في بيروت بتاريخ ١١ مايو ١٨٧٠م.

(٦٧) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية - الجزء الثاني ص ١٤.

(٦٨) النحلة الحرة، مارس ١٨٧١م.

(٦٩) الإتحاد المصري القاهرة (العدد ٣٤) مقال بعنوان (الصحافة في ثلاثين عاما بقلم نجيب غرغور).

(٧٠) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثالث، ص ٤٨-٤٩.

(٧١) صدرت في عام ١٨٢٨م.

(٧٢) صدرت في عام ١٨٧٠.

(٧٣) صدرت في عام ١٨٦٥.

(٧٤) مجلة نزهة الأفكار، كانت تصدر أسبوعيا وتهتم بالسياسة والأدب وقد تخوف الخديوي اسماعيل من "تهييجها للخواطر وبعثها للفتن" فأصدر أمرا بتعطيلها وإلغائها، وهي تعتبر تاريخيا أول مجلة مصرية شعبية يصدر قرار بالغائها حتي ذلك الوقت.

(٧٥) وسليم الحموي من أصل سوري، هاجر إلى الأسكندرية وافتتح بها مطبعة ثم أصدر منها جريدته، وقد أصاب بعد ذلك ثروة كبيرة وحصل على لقب (الباشوية) وبعد عشر سنوات من إغلاق صحفه في الإسكندرية، انتقل سليم حموي إلى القاهرة وأصدر فيها

جريدة (الفلاح) وذلك في عام ١٨٨٩م.

(٧٦) **عبد العليم القباني**: نشأة الصحافة العربية بالأسكندرية (الهيئة العامة للكتاب) القاهرة ١٩٧٣، ص ١١.

(٧٧) **سليم تقلا** (١٨٤٩-١٨٩٢) كان كاثوليكا من كفر شيما بلبنان، درس في المدرسة الوطنية التي أسسها بطرس البستاني واشتغل بعد تخرجه بالتدريس في الكلية البطريركية في بيروت، وعمل بالصحافة فترة، ثم نزح إلى مصر حيث أصدر الأهرام.

(٧٨) **بشارة تقلا** (١٨٥٢-١٩١١) تخرج من مدرسة عين ورقة وعمل بالترجمة ثم بالصحافة، ثم هاجر مع أخيه سليم تقلا إلى مصر وشاركه في إصدار الأهرام.

(٧٩) الأهرام - ١٨٧٩/٤.

(٨٠) **محمد رشيد رضا**: تاريخ الأستاذ الإمام، ص ٤٥.

(٨١) **سليم عنحوري**: سحر هاروت (المطبعة الشرقية) ص ١٧٩-١٨٠.

(٨٢) **محمد خليل صبحي**: تاريخ الحياة النيابية في مصر، الجزء الخامس (مطبعة دار الكتب) القاهرة ١٩٣٩، ص ٩٩، ١٠٦.

عبد الرحمن الرافعي: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، (مكتبة النهضة المصرية) القاهرة ١٩٤٩ ص ١٩.

(٨٣) **أديب اسحق**: الدرر ص ٢٩٤-٢١٩.

(٨٤) **أحمد أمين**: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ٣٠٧.

(٨٥) التجارة، ١٥/٥/١٨٧٨م.

(٨٦) **أحمد سمير**: سلافة النديم - ص ٩.

(٨٧) مرآة الشرق: ٢٤/٢/١٨٧٩م.

(٨٨) **أحمد شفيق**: مذكراتي في نصف قرن، الجزء الأول (مطبعة مصر) القاهرة، ١٩٣٤ - ص ١١٣، ١١٥.

(٨٩) مرآة الشرق، ٦/٤/١٨٨٢م.

(٩٠) الحضارة - ٢٢/٥/١٨٨٢م.

(٩١) **عبد اللطيف حمزة**: أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثالث (دار الفكر) القاهرة، ص ١٨.

(٩٢) جريدة المفيد - ١٥ يونيو ١٨٨٢م.

(٩٣) جريدة المفيد - ٢٢ يونيو ١٨٨٢م.

(٩٤) صدرت جريدة (الوطن) في ١٧ نوفمبر، أما صاحبها **ميخائيل عبد السيد**، فقد تتلمذ على يد رفاعة الطهطاوي في مدرسة الألسن، وعمل معه في الترجمة، وشارك بالكتابة مع الطهطاوي في مجلة روضة المدارس المصرية وله بها كتاب نشر مسلسلا باسم (بث المعارف ونث العوارف) وقد ظل يتولى رئاسة تحرير جريدة الوطن حتى عام ١٩٠٨م حين انتقل حق إمتياز الجريدة إلى (نجدي ابراهيم).

(٩٥) حدث مرة أن حضر **الشيخ محمد عبده** احتفالا أقامته جمعية المقاصد بمناسبة التصديق على لائحة النواب وتحدث خلالها عن الحياة النيابية وتعرض لمجلس شورى

النواب وكان مما قاله أنه لا قيمة لمجلس شوري النواب بدون نشر التعليم بين الشعب "وأنه لابد أولا من تعميم التعليم ونشر المعارف والعلوم التي تؤهل إلى تلك المرتبة، مرتبة الصلاحية والإستعداد للمشاركة في تدبير أمور الأمة وتوجيهها. (أنظر جريدة الوقائع المصرية، ١٥ فبراير ١٨٨٢م). وقد أثارت هذه الكلمة كثيرا من اللبس عند أعضاء مجلس شورى النواب، وعدها بعضهم هجوما على المجلس وأعضائه، ومن أجل ذلك عقد احتفال في منزل أحد النواب دعي إليه الشيخ محمد عبده "وأبان عن قصده من تلك الخطبة التي ألقاها في جمعية المقاصد الخيرية، واستدل على حسن إخلاصه لما توهم من خطابه السابق ببراهين من نفس مقاله فساق مضمونه وبين معناه مستدلا على عدم صحة ذلك الوهم بما اعترف به السامعون ووقع لدى جميعهم موقع الإستحسان" (انظر جريدة الوقائع المصرية ٢١ فبراير ١٨٨٢ مقال بعنوان مقابلة الشكر بالشكر) وهذه الحادثة تؤكد الموقف المعتدل للشيخ محمد عبده من الثورة رغم تعاونه مع قادتها.

(٩٦) راجت أثناء الثورة العرابية أقوال "من جانب العناصر الثورية تطالب بجمهورية أو دولة عربية في إطار الإنفصال النهائي عن الخلافة سواء كانت عثمانية أو غير عثمانية"، أنظر صلاح عيسى: الثورة العرابية - ص ٢٢٨.

(٩٧) الوقائع المصرية ٢١ سبتمبر ١٨٨١م.

(٩٨) الوطن ١٧ سبتمبر ١٨٨١م.

(٩٩) دخلت القوات البريطانية القاهرة في ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ دون مقاومة.

(١٠٠) الأهرام ١٨٨٢/٩/٢٩م.

(١٠١) الأهرام ١٢ أغسطس ١٨٨٤م.

(١٠٢) الأهرام ١٤ مارس ١٨٩٢.

(١٠٣) الأهرام ٢٤ مارس ١٨٩٢.

(١٠٤) يذكر الياس ناصورا في كتابه (مرآة العصر) ص ٤٠٦ أن تعطيل مرآة الشرق قد تم بسبب وشاية من سليم فارس الشدياق الذي أبلغ الباب العالي زورا أن الجريدة تطعن في السلطان وسياسته، فطلب الباب العالي تلغرافيا من الحكومة المصرية إلغاء الجريدة، وعلى الفور قرر مجلس النظار برئاسة نوبار باشا تعطيل مرآة الشرق إلى الأبد.

(١٠٥) المحروسة ٢٣ يونيو ١٨٨٤م.

(١٠٦) المحروسة ١١ يناير ١٩٠٩م.

(١٠٧) المحروسة ٢٠ مايو ١٩١٠م.

(١٠٨) يعقوب صروف (١٨٥٢-١٩٢٧)، أرثوذكسي من بيروت تحول إلى المذهب الإنجيلي فيما بعد، وكان فارس نمر (١٨٦٠-١٩٥٢) أرثوذكسيا من حاصبيا ويعد أن أنهى الإثنان دروسهما في الكلية السورية الإنجيلية، اشتغلا بالتدريس فيها، ثم أنشئوا مع بعض الزملاء حلقة فكرية، نشأت عنها بعد ذلك مجلة (المقتطف).

(١٠٩) كمال صليبي: تاريخ لبنان الحديث ص ١٩٠-١٩١.

(١١٠) المؤيد: أول ديسمبر ١٨٨٩.

(١١١) القاهرة الحرة ١٨٨٦/٦/٢٧.

(١١٢) الدكتور شبلي شميل من خريجي الكلية الإنجيلية، وقد هاجر إلى مصر واشتغل بالطب ومارس الصحافة في نفس الوقت.

(١١٣) جورجي زيدان: أرثوذكسي من بيروت درس الطب في الكلية السورية الإنجيلية، وهاجر إلى مصر حيث عمل في بعض الجرائد والوظائف حتى أنشأ مجلة الهلال، ولجورجي زيدان العديد من المؤلفات في التاريخ واللغة والأدب، وقد توفي في يوليو ١٩١٤ وتولى إدارة المجلة من بعده إبنه إميل زيدان.

(١١٤) خليل صابات وآخرون: حرية الصحافة في مصر (١٧٩٨-١٩٢٤) (مكتبة الوعي العربي) القاهرة ١٩٧٢، ص ٩٨.

(١١٥) Blue Book: Report's of Consul General, EG, No.5, 1904 p.p.31-33

(١١٦) خليل صابات وآخرون: حرية الصحافة في مصر، ص ٩٨، ١٢٠.

(١١٧) المصدر السابق: ص ٧.

(١١٨) يوتان لبيب رزق: الحياة الحزبية في مصر (مكتبة الأنجلو المصرية) القاهرة، ص ١٢٢.

(١١٩) جاكوب لانداو: تاريخ الأحزاب والحياة البرلمانية في مصر، ترجمة سامي الليثي، القاهرة (مكتبة مدبولي) ١٩٧٤، ص ١١١.

(١٢٠) جورجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن ١٩، الجزء الأول، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢٢، ص ٢٩٣.

(١٢١) فاروق أبو زيد: أزمة الديموقراطية في الصحافة المصرية، القاهرة (مكتبة مدبولي) ١٩٧٦، ص ١٠٧.

(١٢٢) حسن كامل الموجي: دور الشاميين في الصحافة المصرية - ص ١٩٩.

(١٢٣) رفعت السعيد: ثلاثة لبنانيين في القاهرة (شبلي شميل، فرح أنطون، رفيق جبور)، بيروت (دار الطليعة للطباعة والنشر) الطبعة الأولى، سبتمبر ١٩٧٣ ص٣٧

(١٢٤) محمد أنيس: دراسات في العالم العربي (معهد الدراسات العربية) القاهرة ص ٣٢٤، ٣١٨.

(١٢٥) حازم نسيبه: القومية العربية، ترجمة عبد اللطيف شرارة، بيروت (دار بيروت للطباعة والنشر) ١٩٠٩، صيدا.

(١٢٦) عبد العزيز دوري: الجذور التاريخية للقومية العربية (دار العلم للملايين) بيروت، ١٩٦٠- ص ٨٥.

(١٢٧) أبو نظارة زرقاء: ٢١ ربيع أول ١٢٦٥هـ.

(١٢٨) ابراهيم عبده: الصحفي الثائر (كتاب روز اليوسف) القاهرة ١٩٥٤، ص ٦٥

(١٢٩) من المفيد أن نذكر هنا أن ابراهيم المويلحي سبق له أن أصدر في مصر بالإشتراك مع محمد عثمان جلال جريدة (ثمرة الأفكار) في عام ١٨٧٨م ولكنها لم تستمر سوى عددين إثنين فقط إذ عطلها الخديوي اسماعيل لجرأة أفكارها ولنقدها بعض تصرفاته.

(١٣٠) عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثالث (دار الفكر)

القاهرة، ص ٣٩، ٤١.

(١٣١) فيليب طرازي: تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثاني ص ٢٥٩.

(١٣٢) عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية، الجزء الثالث، ص ٤٢.

(١٣٣) العروة الوثقى، ٢٢ مايو ١٨٨٤.

(١٣٤) المصدر السابق.

(١٣٥) الخلافة، أول ديسمبر ١٨٧٩.

(١٣٦) الخلافة، ١٨ ديسمبر ١٨٧٩.

(١٣٧) الخلافة، ١٨ ديسمبر ١٨٧٩.

(١٣٨) على الغاياتي: صحفي وشاعر عمل بصحف الحزب الوطني مثل اللواء والعلم والشعب والدستور ومصر الفتاة، وكتب كثيرا من الأشعار التى تندد بالإحتلال البريطاني، ثم أصدر ديوانا سماه (وطنيتي) وكتب مقدمته محمد فريد خليفة مصطفى كامل في زعامة الحزب الوطني ولكن سلطات الإحتلال البريطاني قامت في بدء حملتها لتصفية الحزب الوطني بمصادرة الديوان وتقديم الغاياتي ومحمد فريد للمحاكمة متهمة الإثنين بالتحريض على مقتل بطرس غالي باشا، فاضطر الغاياتي أن يهرب من مصر في ٥ يونيو ١٩١٠ بعد أن علم أن هناك نية لإعتقاله، واتجه إلى تركيا.

(١٣٩) الأخبار: ٢٢ مارس ١٩٢٢، مقال بعنوان (نضال الحزب الوطني في أوربا أثناء الحرب).

(١٤٠) الحرم، ٤ ديسمبر ١٩٣٠.

(١٤١) المصدر السابق.

(١٤٢) هاشم عبده هاشم: الدوريات، رسالة ماجستير غيرمنشورة، مقدمة لقسم المكتبات بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ص ٥٠.

(١٤٣) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، الجزء الأول - الطبعة الثانية (شركة المدينة للطباعة والنشر) جدة - ١٩٧٨م ص ٣٤٣، ٣٤٥.

(١٤٤) القبلة: مكة المكرمة، العدد (٦) السنة الأولى، ٣ ذي القعدة ١٣٣٤هـ (مقال بعنوان: في مصر والشام).

(١٤٥) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص ٢٧٧.

(١٤٦) المرجع السابق، ص ٢٧٨.